الياس مرقص

المقاومة الفلسطينية و الموقف الراهن

دار الحقيقة - بيروت

المكتبة الاشتراكية

الياس مرقص

المقاومة الفلسطينية
و
الموقف الراهن

دار الحقيقة
للطباعة والنشر في بيروت

الطبعة الأولى
نيسان (ابريل) ١٩٧١

ايضاح

وضعتُ الجزء الاول من «نقد الفكر المقاوم» في نيسان – ايار ١٩٧٠ ، ووضعت الجزء الثاني وقسما من الجزء الثالث في ايار – تموز ١٩٧٠ (وسيصدر هذان الجزءان تباعا) .

غير انني رأيت من واجبي ان اكتب هذه الدراسة النقدية المقتضبة . فالاحداث تتوالى بسرعة . والقيادة المسؤولون – في المقاومة وحولها – منشغلون – بالاحداث – عن قراءة سلسلة أفنّد فيها ، فقرة فقرة وأحيانا جملة جملة ، كتابات محمد كشلي أو ن.خ. (١) ، ونايف حواتمه

(١) – محمد كشلي غضبان علي : ليس هو مؤلف كراس « حول العفوية والنظرية في العمل الفدائي » الصادر عن المكتب السياسي للجبهة الشعبية الديموقراطية . اسجل تكذيبه لما بلغني من مسؤولين (اي من مسؤولين سابقين كأغلب المسؤولين) في المنظمة المذكورة . واسجل بدهشة وارتياح انه يبدو ، من فحوى تكذيبه ، غير موافق على تنظير الجبهة الديموقراطية لعفوية العمل الفدائي : فالكراس حامل هذا التنظير ما هو الا مجموعة مقالات صحفية نشرت في حينها في جريدة (هي « الحرية ؟) بتوقيع ن. خ.
على اي حال ، يعز علي ان اقول للرفيق محمد كشلي : ان

او شقيقه ، وصادق جلال العظم ، وآخرين .

ومن الواضح ـ كما ذكرت في مقدمة السلسلة وكما يتبين من الجزء الاول كله ـ انني قصدت من وراء الجبهة الشعبية الديمقراطية وكتّابها «موضوعين» او هدفين : اليسار العربي الماركسوي، وايديولوجيا المقاومة الفلسطينية. ان «الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين» (١) تمثل اللقاء بين الهدفين ، او ـ جزئيا على الاقل ـ ركوب الاول على الثاني .

من الجهة الاولى ـ الهدف العربي ـ ، اقول : ايا كانت التطورات المقبلة ، وحتى فيما لو اختفت المقاومةالفلسطينية او فيما لو حررنا فلسطين وانتهت القضية موضوع الركب، فان هذا اليسار العربي الزائف سيجد ذريعة اخرى وشكلا اخر .

من الجهة الثانية ـ المقاومة الفلسطينية كايديولوجيا وكتجربة ـ ، اكرر ما قلته في اوائل ايلول ١٩٧٠ ردا على من عاتبني لاهتمامي بمنظمةلا يتجاوز عدد اعضائها المئة(٢). قلت : مئة او عشرة ، هذه المنظمة هي التي **تقود** المقاومة الفلسطينية . ان «الفكر المقاوم» لـ ن.خ. او ن.ح. او ص.ج.ع. ـ الفكر الذي افنّده في سلسلة «نقد الفكر

كـراس ن. خ. او م. ك. او ن. م. خ. ك. او ج. ش. د. م. ا. ل. (الجبهة الشعبية الديموقراطية منظمة الاشتراكيين اللبنانيين) هو افضل بشكل مرموق من سائر مؤلفات ج. ش. د. م. ا. ل. . يؤسفني اذن انه بات علي ـ نزولا عند رغبته المشروعة تماما ـ ان اقصر هذا المديح على الدكتور ن. خ. وحده .

(١) ـ او شرقي ـ الاردن .

(٢) ـ ولا يأخذها احد مأخذ الجد !!

المقاوم» هو المرشد . يخطىء من يتصور العكس (١) . حين تكون الشعارات واحدة ، وحين تكون الدنيا غارقة في الشعارات ، من الطبيعي ان تكون الامور على هذا النحو . قد يقال : هذا ليس الا وجها ظاهرا ، فالدول (الانظمة)اقوى وأعلى ركبا . على هذا ، اجيب : ان كونه ظاهرا لا ينفي كونه حقيقة . وحقيقة ترتبط بالباقي . لنقل انه احد مستويات الحقيقة ، حلقة حاسمة في بنيان واقع العمل السياسي العربي والفلسطيني .

ان قادة فتح ومنظمة التحرير والقادة الفلسطينيين منشغلون عن متابعة متابعتي للرفاق ، وهي المتابعة التي قد يتصورون انها محض مجادلة داخل «الكنيسة الماركسية» ضد «الهراطقة» او ضد «المتسللين ـ المنافقين» . عليّ اذن ان اقدم لهؤلاء القادة (وللمناضلين عموما بما فيهم قادة ومناضلو هذا «اليسار» ذاته) نقدي للايديولوجيا المقاومة بشكل مقتضب . لاسيما وان بعضهم لا يحب النظريات والايديولوجيات ، فهي ـحسب تصورهمـ تمزق وتشتت، بينما دعوتهم اطلقوها قبل ست او سبع سنوات من اجل التوحيد . يجب اذن ان نبيّن لهم انهم لم يفهموا هذا الزمن الذي يرفضون ، وانهم هم ايضا غارقون في الايديولوجيا

---

(١) ـ بالطبع ، لا يجوز ان نقلل من مكانة « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » (او شرقي الاردن) ، التي هي المنظمة الام . بعد تسجيلنا كون « الديموقراطية » قد فشلت في تبرير انشقاقها عن « الشعبية » ، وبعد دراسة اولية لاضبارة الوقائع الاخيرة وللافكار وبعد تسجيلنا كون جيرار شاليان قد انتقل من رعاية حواتمه الى رعاية حبش ، يمكن التساؤل عما اذا لم يكن هناك توزع في الادوار وفي الارتباطات (ارتباطات المنظمات بالانظمة) .

وفي «ذات» الايديولوجيا التي يرفضون . انهم والمقاومة والعرب مبتلون بما ابتلوا به لانهم وسواهم لم يخوضوا ولا يخوضون هذا الكفاح الايديولوجي . ان قائد احدى الثورات العربية ـ قائدا شديد الاهتمام بالمشرق والمقاومة الفلسطينية ـ مقتنع اليوم ، على ما يبدو ، بأن مصدر مشاكل المقاومة وأحد مصادر بلاوي العرب في النصف الثاني من عام ١٩٧٠ وما بعده هو النظرية الاعجمية الغريبة عن قوميتنا وديننا (الماركسية) . نقول اذن له ولسواه : هذا اليسار الزائف لا علاقة له بالماركسية ، بينما الايديولوجيا المقاومة ليست غريبة عنه !

ان الاخ باهي محمد ـ «المجاهد» الجزائرية ، ٢٠ـ١٢ـ١٩٧٠ ـ قد تحدث عن موقفي من مسائل المقاومة الفلسطينية والوضع العربي الراهن . هذا دافع اخر يدفعني لكتابة هذا الكراس .

***

بين شروعي في «نقد الفكر المقاوم» وكتابتي هذا الكراس، تلاحقت الاحداث : حوادث اواخر تموز، وحوادث النصف الثاني من ايلول ، وما بينها وما بعدها وحولها وتحتها وفوقها . احداث مؤلمة .

هذا الالم ـ ويجب ان نسجل هذه الحقيقة قبل ان يأتي عليها الزمان ، وقبل ان ننسى ايها الاخوان ، فالانسان من النسيان او العكس ـ هذا الألم الشعبي العام كان كبيرا عندما «توحّدت» المقاومة ضد عبد الناصر في أواخر تموز، وكان كبيرا عندما انطلقت مجازر شرقي الاردن في ١٨ـ٢٧ ايلول ، وكان اكبر بكثير عندما مات جمال عبد الناصر في ٢٨ ايلول . (كان اكبر ، على الاقل لان الحدثين السابقين كانا

في الجو . ولكن كان يجب ان ندرك ان الحدث الثالث كان في طبيعة الاشياء !)

بيد انه ، اذا كان للألم اثر في لهجة هذا الكراس ، فليس له اثر في خطه الفكري — السياسي . هذا ما يمكن ان يشهد عليه من قابلني وحاورني في دمشق في اوائل شهر ايلول ، في دمشق وبيروت واللاذقية في اوقات سابقة متعددة (شباط ١٩٧٠ ، تموز ١٩٦٩ ، الخ) ، ومن قرأ بشيء من الانتباه ايا من مؤلفاتي الصادرة بعد نكسة حزيران .

***

يقال ان قادة المقاومة — بما فيهم حبش ، حواتمه — قاموا بنقد ذاتي ورد في مقابلة اجراها معهم صحافي او اخر . هذا ما لم اطلع عليه . ويقال ان المجلس الوطني الفلسطيني الاخير شهد مناقشات وادانات . هذا ايضا لم اطلع عليه . تلك الامور —في حال وجودها— لا تعطى الا ١ بالمئة او ١ بالالف من الدعاية الاعلامية التي تعطى ، على جدران مدننا، لاية عملية فدائية سواء كانت عملية حقيقية او كانت من نوع «عملية الخط الاحمر» .

والشيء الوحيد الذي المسه اليوم ، في الصحف ، ان المجلس الوطني الفلسطيني قد اقر : «رفض الحلول التصفوية» ، «حرب التحرير الشعبية» ، «تحرير فلسطين» . اي انه اقر مرة اخرى نفس العموميات . ولكن يقال ان البعض — الجبهة الشعبية الديمقراطية مرة اخرى، وربما الجبهة الشعبية ايضا — ليس موافقا . لا ريب انه، اذا كان هذا هو نوع القرارات ، فان تمرد البعض المذكور

هو على أمور أخرى ، مثلا الامور المسمَّاة تنظيمية ، الامور المنسوبة الى مملكة التنظيم . ما دام هذا البعض ، مثل غيره واكثر من غيره ، هو من انصار الرفض اليومي للحلول التصفوية ، والقيام اليومي بحرب التحرير الشعبية والتحرير اليومي لفلسطين .

اللاذقية ١٠ آذار ١٩٧١

-١-

موقع المقاومة وخطها البياني . المصطلحات ، الشعارات ، « الثورة الفلسطينية »

I

المقاومة الفلسطينية (١٩٦٥ – ...) هي **احد** فصول تاريخ كفاح شعب فلسطين ضد الصهيونيـة وحلفائهـا واسيادها الامبرياليين .

ان كفاح شعب فلسطين ضد الغزو الصهيوني له من العمر نيف وسبعون عاما .

لقد نما هذا الكفاح طيلة النصف الاول من القـرن العشرين (حتى عام ١٩٤٨) ، وبرز في أشكال شتى ، لاسيما في اشكال انتفاضية وثورية وحربية . وكان هذا الكفاح الفلسطيني ، طيلة فترة ما بين الحربين العالميتين (١٩١٨ – ١٩٣٩) وبشكل ثابت ، القطاع الأقوى والاعنف في حركة التحرر العربية المناهضة للاستعمار ، على امتداد الوطـن العربي الكبير . في تلك الفترة ، شهد الوطن العربي ثورة ١٩١٩ المصرية ، والثورة العراقية الكبـرى ، وحـرب الريف ، والثورة السورية الكبرى ، الخ ، وشهد **عددا** من الثورات والانتفاضات والحروب الثورية في فلسطين ، كان ابرزها ثورة ١٩٣٥ – ١٩٣٩ .

ان الكفاح التاريخي المديد للشعب الفلسطيني العربي واحد من أهم كفاحات الدفاع الشعبي ، الوطني والقومي ،

في العالم المعاصر ، الى جانب كفاحات الامم الاوروبية ضد الغزو النازي والاحتلال الالماني ، والى جانب الكفاح المديد لشعب فيتنام وشعوب الهند الصينية ضد الفرنسيين والامريكيين ، والكفاح الثوري لشعب الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي .

ان عمق واتساع وعنف وثبات الكفاح الفلسطيني قد قررته طبيعة الغزو الصهيوني الاستيطاني الرامي الى ازالة الوجود الفلسطيني والى تأمين هيمنة الامبريالية العالمية على المنطقة العربية باعتبارها مركز العالم .

ولقد دخل هذا الكفاح الوطني والثوري الفلسطيني خلال نيف ونصف قرن في حركة مد وجزر ، تبعا للشروط الموضوعية ، العالمية والمحلية ، ولظروف وأحوال الوعي ، ولكن خطه العريض كان صاعدا بوجه الاجمال. وبعد قيام دولة اسرائيل (١٩٤٨) ، ظل الايمان بالعودة عقيدة عامة لشعب فلسطين ، وقد اشتدّ هذا الايمان في زمن الوحدة السورية ـ المصرية ، واشتدّ مرة اخرى مع فتح اسرائيل باب المعركة العامة ضد الامة العربية حول فلسطين، وغزوها لاراضي دولها ، ومع ظهور وصعود «المقاومة الفلسطينية».

«المقاومة الفلسطينية» لها من العمر ست سنوات

لقد اثبتت ان الفلسطينيين شعب له وطن ـ هو فلسطين ـ وان فلسطين وطن له شعب ـ هو الشعب الفلسطيني ـ . كشفت للعالم ان الخلاف ليس بين «العرب» ـ الدول العربية واسرائيل ـ فلسطين ، بل ان الخلاف هو بين «فلسطين» و«اسرائيل» ، بين الشعب الفلسطيني وبين الاحتلال الاستيطاني الصهيوني لفلسطين،

في الوقت الذي كانت فيه اسرائيل تكشف أن أهدافها التوسعية لا تقف عند حدودها الفعلية الاولى (التي حصلت عليها في حرب ١٩٤٨) ولا عند حدود فلسطين ، والصهيونية العالمية تكشف انها أداة فعالة ومتنوعة في مخططات الامبريالية الاميركية الرامية الى الهيمنة العالمية ، في الشرق الاوسط وفي العالمين الراسمالي والاشتراكي .

ولقد نمت المقاومة الفلسطينية بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ ، وخلال عام ١٩٦٨ (معركة الكرامة) ، ثم بعد مدة من الزمن ، اخذت في الانحسار . في عام ١٩٧٠ ، خاضت معاركها الكبرى خارج فلسطين ، في عمان وازبد والسلط الخ . وكانت هذه المعارك اكبر مئة مرة من معاركها في نابلس والخليل وغزة وحيفا وتل ابيب . في فلسطين العربية (نقصد في فلسطين التي احتلت في حزيران ١٩٦٧) ، وفي فلسطين الاسرائيلية اليهودية (نقصد في فلسطين «المحتلة» و«المسكونة»بين ١٨٨٠ و١٩٥٢)، الكفاح الفدائي تراجع في عام ١٩٧٠ وربما في عام ١٩٦٩ ، تراجع بشكل مرموق عما كان عليه في عام ١٩٦٨ .

تلك حقيقة لا يجهلها الشعب العربي، تذكرها احيانا مؤلفات المقاومة (بل الاحاديث الشفوية الصادرة عن قادة المقاومة) (١) ، كما تذكرها اليوم الصحف العالمية ــ الغربية وكتّابها اليساريون ، اي تلك الصحف واولئك الكتّاب الذين «نفخوا» المقاومة بداب وثبات طيلة عامين واكثر ، ونفخوا جناحها «اليساري» بشكل خاص .

ولقد قرانا في عام ١٩٦٨ واوائل ١٩٦٩ ، في

---

(١) ــ انظر على سبيل المثال لا الحصر ما ينقله عن لسانهم باهي محمد في « المجاهد » الجزائرية ، ٢٠ ديسمبر ١٩٧٠ .

مجلات عربية ، مقالات «تحليلية» ، قدّم فيها اصحابها بيانات احصائية تشهد ان عدد العمليات الفدائية في فلسطين ينمو حسب متوالية هندسية : هذه العمليات ، على ما يبدو ، تتضاعف كل ثلاثة شهور ، وتتضاعف معها خسائر العدو . ×٢ في ثلاثة شهور هذا يعطي (×٢) مرفوع الى قوة ٤=×١٦ في عام واحد ، وبالتالي (× ١٦) مرفوع الى قوة ٣ = ٤٠٩٦ في ثلاث سنوات . اذا كانت خسائر اسرائيل البشرية في سنة الانطلاق عشرة اشخاص فقط ، فانها ستكون في السنة الرابعة ١٠×٤ آلاف = اربعين الفا ، وانقراض اسرائيل الكامل يأتي خلال السنة الخامسة . هذه المتوالية الهندسية هي السير الجدلي الصاعد لحرب التحرير الشعبية . كلاهما وهم في الجدلي الصاعد لحرب التحرير الشعبية . كلاهما وَهم في وَهم : المتوالية الهندسية وحرب التحرير الشعبية ، وما

في عام ١٩٧٠ ، اختفت هذه البضاعة من السوق . حتى بلاغات «عملية الخط الاحمر» و«عملية مناجل الشمال» و«عملية ميناء ايلات» و«عملية شي غيفارا» المستباح على هذا النحو ، اختفت هي ايضا . رغم انها جاءت متأخرة ، حديثة نسبيا . بيننا وبينها عام واحد . ما أقرب اليوم من الأمس وما ابعده عنه . حتى أمور الكلام اعتدلت . العام المنصرم (١٩٧٠) كان عام الاردن ، او بالاحرى **شرقي الاردن** . ماذا سيكون العام القادم ؟

قبل متابعة العرض ، لا بأس من **تحديد المصطلحات الجغرافية** .

II

لا شك ان بعض القراء لاسيما اولئك الذين هم

موضوع نقدي شعروا بالغضب ازاء المصطلحات الجغرافية التي استخدمتها قبل قليل . أليست هذه المصطلحات انسياقا وراء العدو ، او على الاقل انجرارا الى ارض (او مستنقع) القانون الدولي الرأسمالي لهيئة الامم المتحدة وقرار التقسيم الذائع الصيت وقرار مجلس الامن الذائع الصيت اكثر ؟ كيف اقول « فلسطين العربية أقصد فلسطين المحتلة في حزيران ١٩٦٧» و«فلسطين الاسرائيلية او اليهودية أقصد فلسطين المحتلة بين ١٨٨٠ و١٩٥٢» ؟ أليست فلسطين كلها عربية ؟؟

اني أترك للذين يخشون الانجرار الى ارض القانون الدولي البرجوازي ان يبقوا ما شاؤوا في ارض الحق العربي ، التي هي - بالمناسبة - مستنقع المفهوم القانوني الحقوقي الاخلاقي للسياسة والثورة والحرب والواقع ، المفهوم الحقوقي الذي هو احد اهم مكونات ايديولوجيا ايديولوجيي المقاومة الفلسطينيةالمسلّحة الحربية. شخصيا، رغم كوني لا احمل سلاحا ولا اشارك في الحرب الثورية ، فانني ، حين أكون بصدد الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية والمقاومة المسلحة والعمل الفدائي والبؤر المتنقلة، المستقرة ، نصف المستقرة الخ الخ ، اركض مباشرة الى ارض الواقع العسكري ، الى الارض **الميدانية** . هذه الارض تفرض عليّ بالبداهة ان اميّز :

فلسطين العربية ، اي العربية السكان ، وفلسطين اليهودية اي اليهودية السكان .

بتعبير اخر : ان وحدة «فلسطين العربية» او «فلسطين المحتلة» او «فلسطين العربية المحتلة» هي ، من وجهة نظر الواقع العسكري والسياسي والاجتماعي الخ ، وهم ايديولوجي . وفلسطين الواقعية ليست منقسمة ،

في نظر الذات المتصدية للمعرفة والعمل ، الى محتلة في ١٩٦٧ ومحتلة في ١٩٤٨ ، بل الى محتلة في ١٩٦٧ ، ومحتلة ومسكونة (ومؤسرلة او مهودة) بين ١٨٨٠ و١٩٥٢ .

بالبداهة . ولعل هذا النوع من البديهيات غير وارد عند ماوتسي تونغ وجياب وكلاوسيفتز . ولعل السبب في ذلك ان كتابات ماوتسي تونغ وجياب وكلاوسيفتز هي بناء ما فوق البديهيات ، ما بعد البديهيات ، اي ما فوق وما بعد حالتنا !

مصطلحاتي هي اذن : فلسطين (اي كل فلسطين) ، فلسطين اليهودية (اي فلسطين اليهودية السكان) ، فلسطين العربية (اي الغربية السكان) ، الضفة الغربية ، قطاع غزة ، الجولان ، سيناء ، شرقي — الاردن ، المملكة الاردنية (اي حدود ايار ١٩٦٧) ، جنوبي — لبنان ، دمشق ، اسيوط ، وهران ، موريتانيا .... كل هذه المصطلحات تحدد اقاليم عربية السكان ، ما عدا المصطلح الثاني : «فلسطين اليهودية» ، فهي يهودية السكان بنسبة ٨٨٪ . هذا المنهج ، الذي يحدد المصطلحات — بالبداهة — ، يدين ويشجب اللعب الدائم بـ «فلسطين» و«فلسطين المحتلة» و«الارض المحتلة» و«فلسطين العربية الواحدة» بـ«الاردن» و«شرقي — الاردن» ، بـ «الساحة الاردنية — الفلسطينية» (المتقلصة واقعيا الى الساحة الشرق — اردنية واللافلسطينية) ، بـ «الساحة العربية الشاملة من الخليج الى المحيط» الفضفاضة التي لا تعني شيئا او بالأحرى تعني ، واقعيا ، الهروب من ساحة الثورة العربية الحقيقية ، والعمل —موضوعيا— ضد خطها التاريخي .

وقصة المصطلحات تكشف عيبا كبيرا من عيوب فكر المقاومة الفلسطينية .

يبدو ان المقاومة ، في قطاع كبير منها (ولاسيما فتح)، متهمة من قبل جناحها «اليساري» (مثلا الجبهة الشعبية الديمقراطية) بالنزعة العسكرية ، بالابتعاد عن السياسة ، وعن الايديولوجيا ، وتحليل الطبقات ، بعدم رؤية الوجه السياسي والاجتماعي والايديولوجي الخ للامور ، برؤية الوجه العسكري وحده .

نحن «نتهمها» اولا بانعدام الفكر العسكري ، أو **بنقص فادح في هذا الفكر العسكري ، بعدم رؤية الوجه العسكري الابتدائي للامور** (السكان ، الارض ، المساحة ، التضاريس ، النبات ، جيش العدو ، مجتمع العدو الخ الخ) .. نضع هذا العيب في المقام الاول ، بالضبط لان المقاومة الفلسطينية هي «كفاح مسلح» ، «حرب» . لسوء الحظ ، تسير الايديولوجيا اليسراوية المتسلطةعلى المقاومة كلها وكأن الحرب الثورية (الحقيقية او المنشودة) ليست حربا .

بعد تحديد المصطلحات ، انتقل الى «الشعارات» . فالشعارات ، الشعارات الغامضة والملتبسة ، والمعززة بالمصطلحات الغامضة والملتبسة ، تؤلف «مضمون» ايديولوجيا وستراتيجيا وتاكتيك وسياسة المقاومة الفلسطينية .

III

هذه الشعارات ــ الثورة الفلسطينية، الكفاح المسلح، حرب التحرير الشعبية ، رفض الحلول التصفوية السلمية الاستسلامية الخ الخ الخ ، الدولة الفلسطينيةالديمقراطية الخ ــ تتكرر يوميا ومنذ سنوات ، في البيانات والبلاغات

الجدارية ، في الصحف والمجلات والاذاعات ، في قرارات المؤتمرات ، في النشرات الداخلية ، وفي كتب منظري المنظمات وغالبية الانظمة .

ان عيبها الاول هو في تسميتها ذاتها : **«شعارات»**. نحن نضع «شعارات» بين مزدوجين ، ونضع كلا من هذه الشعارات بين مزدوجين .

في عصر الاممية الثانية (١٨٩٠ – ١٩١٤) ، كان القادة العماليون الماركسيون في اوروبا الغربية «يدعون» الى «الثورة الاشتراكية». بهذا المعنى، كانت الثورةالاشتراكية «شعارا» . ولكن الممارسة اليومية لم تكن ثورية ، بل اصلاحية . وقد كانت هذه الممارسة الاصلاحية والنقابية والبرلمانية الخ تنبع اصلا من الشروط الموضوعية للمرحلة التاريخية . الفوضويون كانوا يدعون الى ممارسة يومية ثورية ! لم يكونوا على حق ، بأي حال ! اما الماركسيون فلم يتلمّسوا العلاقات الممكنة والمحتملة بين الهدف (الثورة الاشتراكية) وبين الممارسة اليومية ، لم يجدوا بين المستويين سوى فراغ كبير .

في **روسيا** ، اختلفت الشروط الموضوعية واختلف الوعي ايضا : حدد الهدف ، حددت الاهداف في تسلسل، حدد الطريق والمراحل والسبل والجسور . حددت الستراتيجية والتاكتيك . **والشعارات** لخصت اولا **التاكتيك** ، وثانيا ستراتيجية المرحلة الآنية .

التاكتيك لم يكن يعني «التكتكة» . كان اعلى مستويات الفكر، الفكر الذي يرشد العمل مباشرة، الفكر المرتبط بالعمل مباشرة . الشعارات تلخص التاكتيك ، تحدد الاهداف المباشرة القريبة ، تعبىء الجماهير من اجل **هذه الاهداف**، **وبالتالي** تعبئها في طريق الثورة العريض .

ان توسيع مصطلح «الشعارات» ، لتضمينه كل شيء ـ المبادىء ، والاهداف القريبة والبعيدة ، المرحلة القادمة والمرحلة الحاضرة ، المنطلقات العظيمة والغايات الاعظم وما بينهما ـ يجعلها لا شيء ، يجعل الشعارات لا شيء ، ويجعل كل الاشياء الاخرى (الاهداف ، المراحل، المنطلقات ، الغايات) لا شيء .

حين نسمي الثورة الفلسطينية شعارا والمقاومة شعارا والكفاح المسلح شعارا ورفض التصفية شعارا الخ، فاننا نفرق في الشعارات . بدلا من ان تكون الشعارات أداة نور وتعبئة ، تصبح الشعارات أداة تضييع و«تفريط» . والجماهير تسأل : اين الواقع ، اين الشعارات في الواقع التطبيقي ؟

وحقيقة المقاومة ـ حقيقتها الاصلية : استمرار وتقدم كفاح شعب فلسطين ـ تختفي امام أيديولوجيا المقاومة ، اي امام الشطح المثالي المقاوم . او بتعبير اخر : ان **ايديولوجيا المقاومة** (الشطح المثالي المقاوم) **تصبح هي حقيقة المقاومة** . و«اليسار» المقاوم اذ يكتشف ان الممارسة «اليومية» ـ الاصلاحية هي في تعارض مع «الشعارات» العظمى ـ الثورية ـ ، «يثوّر» الممارسة اليومية ، يجرّ المقاومة نحو كومونات اربد والسلط وعمان . «الثورة الفلسطينية» الموعودة تصبح الثورة الفلسطينية في شرقي الاردن .

بدلا من ان يكون لدينا نظرية وستراتيجية وتاكتيك ، بدلا من ان يكون لدينا تصور عن الواقع والمستقبل والاحتمالات والسبل والمراحل والهجوم والدفاع والسياسة والحرب ، يكون لدينا «شعارات» .

IV

اول الشعارات **«الثورة الفلسطينية»** . وهذا الشعار مصطلح «يومي» ، عنوان لصحف ومجلات واذاعات . تجمع عليه منظمات المقاومة ويجمع عليه المتكلمون العرب .

صحيح ان الاجماع احد مصادر الفقه . ولكن ذلك لا يحل شيئا . والجماهير العربية والفلسطينية ليست داخلة في اجماع المتكلمين والمنظّمين .

ما هي الثورة ؟

مع علمي بأن «لا علم الا بالكليات» ، فاني افضل المرحلة الاولى ، الدنيا ، في سلّم المعرفة الانسانية: الوصف، التعداد . لاسيّما وان هذه المرحلة الادنى تقودنا **مباشرة** الى بيت القصيد : خصوصية الثورة الفلسطينية ، وحدانيتها sa singularité

هناك ثورة المصريين القدماء عقب بناء الاهرامات ، وهناك عشرات ومئات الثورات الفلاحية في تاريخ الصين، وهناك ثورات العبيد في روما القديمة ، وهناك ثورة جان هوس ، وثورة رازين ، وثورة بوغاتشف ، وهناك الثورة الانكليزية البرجوازية ، وثورة الاستقلال الاميركية، والثورة الفرنسية البرجوازية العظمى ، وثورة الاسبان ضد نابوليون ، وثورات اميركا الاسبانية ضد اسبانيا ، وثورات ١٨٤٨ في فرنسا وايطاليا والمانيا والمجر ، وثورات بولونيا، وكومونة باريس ، وثورات ١٩٠٥ و١٩١٧ في روسيا ، وثورة زاباتا في المكسيك ، والثورة الصينية ، والثورة الكوبية ، والثورة الجزائرية ، وثورة عدن والجنوب ، والثورة البوليفية والثورة الكندية والثورة الاميركية

والثورة السويسرية ... هناك ثورات وطنية وثـــورات طبقية وثورات مختلطة ، هناك ثورات سياسية ، وثورات اجتماعية ... هناك ثورات برجوازية وثورات اشتراكية.. هناك ثورات نجحت وثورات فشلت .. هناك ثورات حدثت وثورات لم تحدث ... ولكن كل هذه الثورات — القومية والاجتماعية ، الفلاحية والبرجوازية والبروليتارية ، التي نجحت والتي فشلت ، التي حدثت والتي لم تحدث والتي لن تحدث في مستقبل معلوم — لها قاسم مشترك عام هو: ان **المرشحين للقيام بالثورة** هم الاكثرية في الارض . فـي ثورة ١٧٨٩ الفرنسية ، اشترك في الثورة : الحرفيـون وصغار التجار ، البرجوازية ، قسم كبير من الفلاحين... بينما كان في صف الثورة المضادة : الملك ، الاقطاعيون ، قسم من الفلاحين . ولكن **المرشحين للقيام بالثورة** كانـوا ٩٨٪ من السكان . في سويسرة اليوم ، الثوريون ليسوا اكثر من ١ بالمئة من الشعب ، ولكـــن **المرشحين للقيام بالثورة** في الثورة السويسرية — يوما ما — هم غالبيـــة السكان .

تلك ليست الحال في «الثورة الفلسطينية» .

في فلسطين : اليهود ثلثا السكان ، العرب هـــم الثلث . في فلسطين الاسرائيلية : اليهود ٨٨ بالمئة مـــن السكان والعرب ١٢ بالمئة . واليهود ليسوا مرشحين للقيام بالثورة الفلسطينية ، لا الان ولا بعد مئة عام .

الايديولوجيا المقاومة تلفلف هذه النقطة ، تتحايـل عليها ، تضع راسها في الرمال ، كالنعامة ، تعلق الآمـــال على ماتزبن وهلمجرا . المقاومة ، ويسارها ، واليســـار الشقيق من حولها ، يتصورون انهم «متخطئون» هـــذه الحقيقة ، بهجوم متكرر على تصريحات شقيريـــة (جعلوها

كبش فداء) ، وعلى القومية العربية الاقطاعية الدينية الرجعية الشوفينية الخ الخ ، برفع دائم لشعار «الدولة الفلسطينية الديمقراطية المتآخية» ، بتفجير واهم لصراع طبقي عربي وهمي ... وبتعبير اخر: انهم يتجاهلون طبيعة وتاريخ وارتباطات الاستعمار اليهودي الصهيوني لفلسطين، بوصفه استعمارا سكانيا استيطانيا يرتبط بعصر الامبريالية وبمخططات الامبريالية تجاه الامة العربية في المنطقة المركزية من العالم .

اذن هل نرفض مصطلح «الثورة الفلسطينية» ؟

كلا . لا نرفض مصطلح «الثورة الفلسطينية» . ولكننا لا نؤقنمه ، لا نؤلهه ، ولا نردده على الطالع والنازل. ونحذر من منهج «يسحب» ثورات اخرى (فيتنام، جزائر ...) على «الثورة» الفلسطينية ، نحذر من منهج يستنبط ، بصورة واعية او ربع واعية او غير واعية ، طريق الثورة الفلسطينية من مفهوم «الثورة» العام ، من قوانين مقولة «الثورة» ، من جوهر الثورة الافلاطوني ـ « المادي الجدلي» المزعوم .

ان قيمة هذا المصطلح ـ «الثورة الفلسطينية» ـ تنحصر في كونه يؤكد كيان فلسطين وشعب فلسطين وحق شعب فلسطين ، الكيان ـ الشعب ـ الحق الذي لا ينال منه وجود اسرائيل الدولة ـ المجتمع واعتراف مئة دولة باسرائيل . ان هيئة الامم المتحدة اقامت اسرائيل ـ او بالاصح شرعت قيام اسرائيل ـ ازالت او منعت قيام دولة فلسطين ، ولكن ليس باستطاعتها ان تزيل «شعب فلسطين» ، ان تذوبه في كيانات عربية اخرى ... وهذا الشعب يعلن رفضه لدولة قامت اساسا ضد حقه ، على ارضه . «الثورة الفلسطينية» تعني هذا الرفض القطعي

للاغتصاب ، حتى المشرَّع دوليا، رفضا حادا يعلن وبالسلاح على العالم وعلى الامة العربية ، دولا وشعوبا . والرفض بهذا المعنى lutte , contestation موقف ثوري ، موقف عظيم : شعوب العالم الثالث ترفض التبعية والاستغلال والتخلف الخ . العمال يرفضون الرأسمالية . الشباب الغربي الثائر يرفض مجتمع الاستهلاك والانخلاع والاجهزة الخفية. اننا ـ شعوبا وعمالا وشبابا الخ ـ نقول «لا» لعالم بأكمله.

ولكن الـ «لا» ـ الرفض ـ ليس استراتيجية ولا تاكتيكا ولا سياسة ، ليس نظرية ولا منهجا ولا طريقا ولا خطة ولا وسيلة . وحين تجعل الـ «لا» هذا كلّه او بعضه، فان الـ «لا» تكشف عجزها العملي الكامل ، تكون بمثابة الكلام «الثوري» الذي يعوّض ويكمّل العجز الفعلي . تلك هي الحال .

عمليا ، واقعيا ، خلال كل السنوات السابقة والى الان ، كان مصطلح «الثورة الفلسطينية» الغطاء الذي مكّن الايديولوجيين من سحب مفهوم «الثورة» العام ، وقوانين «الثورة» العامة، ودروس فيتنام وكوبا والجزائر والكومونة غير المهضومة ، على ما يسمى بالثورة الفلسطينية .

ان هؤلاء المجمعين على «الثورة الفلسطينية» يقولون: «**الثورة** الفلسطينية» (مع التشديد على «الثورة») . نحن نقول : «الثورة **الفلسطينية**» (مع تشديد أشد على «الفلسطينية») .

ان ما يجمع هذا الكفاح الفلسطيني مع الثورة الفيتنامية والصينية والروسية والباريسية والجزائرية والمصرية قليل ، ما يميزه عنها كثير .

لعل كل الثورات (في عصرنا) تستهدف القضاء على الاضطهاد والاستغلال والظلم واقامة العدالة الانسانية .

ولكن هذا كله ـ القضاء على الاضطهاد والاستغلال والظلم، واقامة العدالة والمساواة والاخاء ، وانشاء «المدينة الفاضلة» ـ هذا كله ، هذا الهدف الكبير ـ الكبير ، هو في نظرنا شيء قليل . هذا الكبير القليل يجمعنا ايضا مع الفوضويين ، مع الطوباويين ، مع كامبانيلا وابي ذر والقديس آمبرواز او جيروم ، مع فوريه وباكونين وكروبوتكين وكاوتسكي . وهو في نظرنا قليل . لان نظرنا يتوجه صوب الواقع والممارسة والمنطلقات والطريق والمراحل والسبل والقوى والهجوم والدفاع والارض والبشر والدول والجيوش والطبقات والالكترونات .

بيد ان الايديولوجيين يتصورون انهم ، بتشديدهم على **«الثورة» و«العنف»** و«الكفاح المسلح» ، انما يحلون الاشكال، يدفعون الالتباس ويخرجون القديسين والطوباويين من المعسكر الثوري العام المشترك. ولكنهم ـ على اي حال ـ لا يُخرجون الفوضويين والبلانكيين ورواد البوتش (1) . بالحقيقة ، يتصورون ان تحقيق «التثوير» هو التشديد على الفاظ «الثورة» و«العنف» و«السلاح» . والثورة حين تكون أقنوما لا بد ان تنتهي الى ان تكون لفظاً .

ان **الثوريين** الحقيقيين لا يؤقنمون الثورة بشكل عام. **ثوارنا** الفلسطينيون والعرب أقنموا الثورة بشكل عام ، وأقنموا «الثورة الفلسطينية» ايضا !

ومن الاقنوم الاول ينبثق الاقنوم الثاني : «حرب التحرير الشعبية» ، كما ينبثق الابن من الآب . « حرب التحرير الشعبية» هي مسيح الثورة الفلسطينية (والعربية) .

---

(1) ـ بوتش putsch : انتفاضة اقلية معزولة .

- ٢ -

حرب التحرير الشعبية ،
الأسطورة بدلاً من الواقع

I

وبوصولنا الى «حرب التحرير الشعبية» نصل الى الشعار المركزي في الايديولوجيا المقاومة ، الشعار الذي يكشف ان الايديولوجيا ميتولوجيا (اساطير) وكلامولوجيا.

ان «حرب التحرير الشعبية» ـ كلفظ و«شعار» ، لا كمضمون محدد ـ تملؤ مؤلفات حواتمه ، العظم ، مقالات الحرية ، مقالات الهدف ، طائفة من مقالات « دراسات عربية» ، مقالات المجلات التروتسكاوية والغيفاراوية والخ الخ في الوطن العربي والقارات الخمس، وتملؤ ايضا جدران مدن (وربما قرى) سوريا ولبنان (وعلى الارجح شرقي الاردن ، العراق ، وربما السعودية ، الجزائر ، المغرب ، موريتانيا ...) . وقد تملؤ ايضا **جدران** نابلس وحيفا وتل ابيب . وقد تملؤ في سنة ٢٠٠٠ جدران «اورشليم ـ الكبرى» (= القدسان + رام الله كفار تسيون الخ) . ولكننا لن نراها ولا حتى في سنة ٢١٠٠ ، في **شوارع** القدس اليهودية وتل ابيب وحيفا، بل ـ في ظروف تسلط الميثولوجيا ـ لن نراها ولن نرى ما يشابهها ولو من بعيد في شوارع القدس العربية ونابلس ورام الله وبيت لحم في سنة ٣٠٠٠ ميلادية .

هؤلاء يتصورون انهم اكتشفوا قانون ارخميدس الذي فشل في اكتشافه الجيل العربي السابق الاقطاعي الراسمالي او البرجوازي ــ الصغير . بيد أن ابنة رياض الصلح ذكرت في مجلة «الاسبوع العربي» ان المرحوم والدها كان سبّاقا في هذا المضمار (تحرير فلسطين بعنــف الفلسطينيين) . ومجلة «الحرية» قبل حرب حزيران ، نشرت تصريحــات لاحمد الشقيري أكد فيها هو ايضا مبدأ «حرب التحريــر الشعبية» .

هناك اذن اجماع . نحن ضد هذا الاجماع . والجماهير العربية لا علاقة لها بهذا الاجماع .

ازاء «الثورة الفلسطينية» ، تحفظنا . ازاء « حرب التحرير الشعبية» ، نقول : لا .

اولا : ماذا يقصدون بحرب التحرير الشعبية ؟

يقصدون بحرب التحرير الشعبية اشيــاء كثيرة . ونستطيع ان نصرف المسألة بقولنا : اشياء كثــيرة = لا شيء . بيد اننا سنحاول ان نحصر ما لا يحصره اصحابه.

على ما يبــدو ، **هناك بين دعاة الحرب المذكورة من يقصد بحرب التحرير الشعبية «تعبئة كل طاقات الامة»** .

بالطبع ، يحق للمرء ان يطلق المصطلح الذي يريد على الشيء الذي يريد . غير ان واجب المرء ان لا يطلق مصطلحه على ــأــ ، ثم ان يطلقه ــ دون وعي او بوعي او بنصــف وعي ــ على ــبــ أو ــتــ او ــيــ . في هذه الحال ، نقول انه خالف مبدأ الهوية ، خالف مبادىء الهوية وعدم التناقض والثالث الممنوع .

ولعل اخواننا «الجدليين» لا يحبون المنطق الصوري، يعتقدون أنهم بـ «ديالكتيكهــم» (بخلائطهم) تخطــوا

ارسطوطاليس . مع لينين نقول لهؤلاء : مهلا ! المنطق الصوري يجب تدريسه وجيدا (وفي الحدود المناسبة ومع التعديلات المناسبة) لتلامذة الثانوي . ومن يعتقد انه فوق هذا المستوى قد يكون دونه بكثير . ومع الكتب المدرسية نقول : مبدأ الهوية عاصم ضد الاختلاط ، ضد التناقض، وضد التحايل والخداع .

نقول اذن : اذا كنتم تطلقون مصطلحكم (حرب التحرير الشعبية) على ب او بالاحرى على ي («تعبئة كل الطاقات») وانتم صاحون (اي حين تصحون تحت وطأة الواقع والمنطق والمحاججة) ، لا تعودوا ، وانتم في حالة النوم ، الى اطلاق المصطلح نفسه على آ ، لا تطلقوا «الحرب الشعبية» على الحرب الشعبية كما هي متداولة عادة (الحرب غير النظامية، عكس الحرب الكلاسيكية ، حرب الشعب ، حرب الانصار، البؤر الخ الخ) .

والحال ، هذا ما تفعلون .. في سلوككم **اليومي** ، في ممارستكم (أي في لافتاتكم ، في اذاعاتكم . لان ممارستكم هي هذا : لافتات ، اذاعات) ، تبدو حرب التحرير الشعبية هي الحرب الشعبية ـ العمل الفدائي ـ كفاح الانصار ـ مع «استدراج العدو» (١) ! ولكن ، في التنظير الاعلى ، بين وقت وآخر ، عند «الحشرة» ، حين يبيّن المنطق والواقع المدلول **الفعلي العملي** للاسطورة ، يؤكد ان «حرب التحرير الشعبية» لا تعني «ابدا» صرف الجيوش النظامية ، بل تعني «تعبئة كل طاقات الامة» .

---

(١) ـ والتصميم على القتال في الجبال (وكأن مدننا وسهولنا سقطت سلفا) ، في جبالنا الغنية بالغابات والغذاء والبشر .

ثم ، لنقف عند هذا التنظير الاعلى !

«حرب التحرير الشعبية» **هي** «تعبئة كل طاقـــات الامــة » ؟؟

في هذه الحال ، لا ريب (!) ان حرب فرنسا والمانيا في عام ١٩١٤ كانت اذن حرب تحرير شعبية : على حـــد علمنا ، ان الفرنسيين ، الالمان ، الانكليز الخ في عام ١٩١٤ عبؤوا كل طاقات الامة واكثر (+ طاقات المستعمرات) ! عبؤوها كما لا يمكن ان نعبئها اذا «صرنا بشرا» (اي اولا اذا استأصلنا الخرافات المدروسة وغير المدروسة) .

«حرب التحرير الشعبية» هي «تعبئة كل طاقـــات الامة » ؟؟

هناك اذن **حروب** اخرى (غير حربكم التحريريـــــة الشعبية) لا تعبأ فيها كل الطاقات ، لا تفترض وتفـــرض تعبئة كل الطاقات ؟

مثـــلا ؟

حرب الالمان والروس في ١٩٤١ ، في ١٩١٤ ؟ حرب الانكليز والالمان في ١٩٣٩ ؟ حرب ليبيا وايطاليا ؟ حروب بسمارك ؟ حروب نابوليون الاول ؟ حرب الاسبان ضـــد نابوليون ؟ الحرب الاهلية بين الدروز والموارنة ؟ حـــروب المغول ؟ حروب عثمان بن اورخان بن اورطوغرل ؟

ان قبائل الزولو Zoulous حين هبّت تدافع عن نفسها ووطنها (وطن الصيد او الرعي) ضد غزو المستعمرين الانكليز عبّأت كل طاقاتها . وكذلك فعلت قبائـــل الهنود الحمر في الولايات المتحدة (قبل أقل من قرن) حين اعلن «الرمح الابيض» أو «برق الغرب» (اسم الزعيم الهنـــدي الاكبر) تعبئة ووحدة «امم» السيـــــو Siou

والاباش aApaches وجميع «الامـــم» الهنديـــة الحمراء .

وكذلك فعل ستالين في اكبر حرب في التاريخ ، حرب مئات الفرق النظامية وعشرات الامم والشعوب (١).

الارجح ان الحرب التي لا تعبأ فيها كل الطاقات هي «حالة الحرب القانونية» التي نعيش عليها منذ هدنة رودس، هي حربنا الابدية الاذاعية الكلامية ضد اسرائيل ، حــرب التحرير الشعبية الاذاعيـــة ، حرب واقـــع **تفكيركم** الصاحي ـ النائم .

ثم انظروا الى هذه اللافتات : «حرب التحريـــر الشعبية هي وسيلتنا لتحرير فلسطين والاراضي المحتلة»، «العمل الفدائي والكفاح المسلح وسيلتنا لتحرير هلمجرا». نعم ، هذا «الكفاح المسلح» ملحق بالعمل الفدائي ! انه ذيل النمر الذي يجعله من ورق (امام العدو ، امام العالم ، امام شعبكم !)

في بعض كتابات «الجبهة الشعبية الديمقراطية» ، الكفاح المسلح هو العمل الفدائي ، والعمل الفدائي هـــو الكفاح المسلح ، بحكم التعريف . فهو الموضوع تحت امرة «قيادة الكفاح المسلح» . قتال الجيش المصري او الجيش السوري ليس «كفاحا مسلحا» . الكفاح المسلح هو مـــا

---

(١) ـ لو ان ستالين اعتمد لهذه الحرب الوطنية الجبارة مصطلحـــا عموميـا ملتبسا يفسح بعض المجال لتأويـل « شعبي » و « غيـر نظامي » ، لكان اليوم الالمان في الاورال وسيبيريا الشرقية ، بعد ان مسحوا « الكفاح الشعبي المسلح » من غابات وسهول ومستنقعـات وجبال الاتحاد السوفياتي المترامي الارجاء .

يكتب على الجدران (عملية شي غيفارا ، عملية هوشي‌منه) وما يصرخ في الاذاعات .

فلندفع الالتباس نهائيا .

اذا كان مصطلح «حرب التحرير الشعبية» يعني شيئا ما محددا غير ما يعنيه مصطلح «الحرب» ، علينا ان نبحث عن معنى «حرب التحرير الشعبية» خارج فكرة «تعبئة كل الطاقات» ، التعبئة اللازمة لكل حرب تحترم نفسها . (كما قلنا : القبيلة الذاهبة الى الحرب تعبىء كل طاقاتها) .

لننتقل اذن الى المعنى الاكثر شيوعا ، الاكثر تداولا في السوق، المعنى الذي‌هو جوهر الجواهر الايديولوجية ، الذي «توحدت» عليه منظمات وأنظمة .

II

حرب ، التحرير ، الشعبية .

الحرب : مفهومة . كفاح مسلح بين دولتين ، او شعبين ، او طبقتين (الحرب الاهلية) ، متابعة السياسة بوسائل اخرى – عنيفة (كلاوسيفتز ، لينين) . حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ العالمية ، حرب الروس والالمان في ١٩٤١ – ١٩٤٥ ، حرب الاميركيين واليابانيين ، حرب العرب واسرائيل في١٩٤٨ و١٩٥٦ و١٩٦٧ ، قتال الانصار في الثورة الروسية عام ١٩٠٦ ، قتال الفدائيين‌الفلسطينيين في ١٩٦٨ ... وفي الحرب (التي تحترم نفسها) ، يعبىء المحارب (دولة ، طبقة ، جماعة ، مجموعة) كل طاقاته ويدخلها في حلبة الصراع بالشكل الذي يراه افضل (ستراتيجية ، تاكتيك) .

التحرير : هو ايضا مفهوم او تقريبا . هناك رغبة في تحرير فلسطين والعرب والعالم من الصهيونية والامبريالية والاستعمار القديم والجديد والفقر والجهل والمرض. رغبة مشروعة «توحدنا» جميعا . هي القليل الذي يوحدنا . كان يمكن ان نقول بدلا من «التحرير» ، الانقاذ ، الخلاص (حرب الاتحاد السوفياتي ضد هتلر يسميها ستالين في عنـــوان الكتاب الذي يجمع خطبه لزمن الحرب «الحرب القومية او الشعبية الكبرى لخلاص الوطن») . وكان يمكن ان نقول «حرب الدفاع» ، «حرب الدفاع عن الوجود القومي» ، كما كان بامكان ستالين ان يسمي حربه «حرب تحرير شعوب الاتحاد السوفياتي وشعوب اوروبا والعالم» من النـــير الهتلري . ان الفاظ التحرير ، الدفاع ، الخلاص ، الانقاذ الخ ، تحدد هدف الحرب ، ولكنهـا لا تحدد طبيعتهـــا العسكرية . ولكن يمكن القول ان لفظ **«التحرير»** فـــي عبارتنا الشهيرة «حرب التحرير الشعبية» له مزية ان يوحي بأننا على أهبة التحرير ، وتحرير فلسطين بالذات « مــن النهر الى البحر» . لنمضي بمعنـــى passons لندع ذلك ، اذا لم يكن بمعنى لنمض في التحرير ! ولكــن ليس من السهل ان ندع ذلك : ان ايديولوجيا المقاومـــة الفلسطينية والاشقاء العرب الرادحين من حولها لم تكلف نفسها مرة عناء ان تتساءل ما اذا كنا ستراتيجيا في جبهة فلسطين من صراعنا العالمي في موقع هجوم او في موقــع دفاع . هؤلاء الستراتيجيون العرب والفلسطينيون حلـوا المسألة اصلا ومنذ سنوات ، بدون ان يطرحوها : نحن في وضع هجوم ، قواتنا الشعبية الثائرة تمكننا من «تحريـــر فلسطين» ، أن لم يكن في ثلاثة ايام ، فعلى الاقل في ثلاث سنوات (بحرب التحرير الشعبية) . على الاقل ! بالضبط .

على الاقل ! بين ١٩٦٢ و١٩٦٦ ، قسم العرب الى قسمين: من «يريد» التحرير ومن لا «يريد» . منيف الرزاز ، في «تجربته المرة» ، فاخر ثلاث مرات بأنه صعَّد قضية فلسطين . وفي ايار ١٩٦٧ ، الويل لمن لا « يريد » «التحرير» . «انا أعدنا القدس والنقبا» ...

كما يرى القارىء ، بعد الحساب ، حساب القدس والنقب ... وسيناء والجولان والجيش المصري والجبهة السورية ، تقول : في «حرب التحرير الشعبية» ، نحن لا نحب كثيرا لفظ «التحرير» . ان ايديولوجيا المقاومة الفلسطينية ليست الا امتداداً لنفس سابق ، كان اجدر بالثوريين الفلسطينيين الحقيقيين ان لا ينقلوه ، بل ان يبدؤوا بالقطيعة معه .

على اي حال ، أن لفظ «التحرير» او سواه لا يحدد الطبيعة العسكرية للحرب . والجوهر — جوهر «حرب التحرير الشعبية» — هو في لفظ «الشعبية». اجل ، هذه الحرب توصف ايضا بانها طويلة الامد وطويلة المدى وطويلة النفس الخ . ولكن كل هذه الاوصاف ليست سوى «اقارب فقراء» للجوهر : **«الشعبية»** . فلننظر الى هذا الجوهر .

يقال (١) :

الحرب النظامية فشلت ، الحرب النظامية ستفشل، **اذن** : حرب التحرير الشعبية !

هذا المنطق يصرح بالجوهر المضمور . ان «حرب

(١) — مقالات «الحرية» و «الهدف» و « دراسات عربية » ، مؤلفات جوانمه، العظم ، كشلي ، عدد من مقالات فتح الخ. الخ.

التحرير الشعبية» هي نقيض الحرب النظامية ، الحرب الكلاسيكية ، حرب الدول والجيوش . هذا هو الاساس الجوهري . الباقي («التحرير») ثانوي . يمكن ان نضعه في سلة الهدف العظيم (بوصفه جزءا من مهمةانشاء المدينة الفاضلة ، العربية والعالمية والفلسطينية – «دولة فلسطين الديمقراطية» –) . بل بين حين وآخر ، يقال ان حرب التحرير الشعبية تفترض «استدراج» العدو ، توسيع رقعةالاحتلال الصهيوني (باعتبار انرقعة الاحتلال الصهيوني هي رقعةالحرب الشعبيةوالكفاح المسلحوالثورةالفلسطينية – العربية المتلاحمة عضويا وجدليا ، ذاتيا وموضوعيا) . بتعبير اخر : «التحرير» هو في النهاية ، انه حلقة لاحقة، اخيرة . اما «الشعبية» فهي من البداية الى النهاية ، انها في كل الحلقات، انها الثابت. والثابتهو الجوهر الجوهري.

لسوء الحظ ، ما تقوله مراجع «حرب التحرير الشعبية» الفلسطربية (١) قليل .

المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية في كتابه الاول الصادر عن دار الطليعة (٢) ، استخدم عبارة « حرب التحرير الشعبية» ثمانين مرة . ولكنه بدلا من ان يعطينا تحديدا لـ «حرب التحرير الشعبية» ، اعطانا عددا من التلونات اللفظية : «حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد والنفس» ، «حرب الجماهير المسلحة بالسلاح وسلاح الافكار الثورية» ، «حرب الملايين وعشرات الملايين من

---

(١) – اي الفلسطينية – العربية المدمجة . هذه هي الوحدة العربية ومحورها فلسطين !

(١) – « حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن » ، طبعتان في ثلاثة شهور .

الكادحين» ، بالاضافة الى سيل عرم من «حرب عصابات» و«عصابات متنقلة» و«نصف ـ متنقلة» الخ ... في مثل هذه المؤلفات والمقالات والقرارات والبيانات ، نرى جملا متكررة عن نمو العمل الفدائي وارتقائه المنشود الى حرب عصابات متنقلة فنصف مستقرة الخ الى حرب تحرير شعبية شاملة على امتداد الساحة العربية . ولكننا في الواقع العملي لا نرى هذا «النمو الجدلي» لا من قريب ولا من بعيد . في الوقت الذي كنا نرى فيه هذا النمو في كل بلاغ جداري (حيث كل عملية فدائية وهمية او حقيقية هي خطوة على طريق ــ وهنا مع التشديد ــ **حرب التحرير الشعبية الشاملة** الخ آكلة الحل السلمي صباحا وظهرا ومساء) ، كنا نرى فيه في الواقع التطبيقي عكس النمو ونقيضه الآلي .

صادق جلال العظم (١) قدم نقدا مسلسلا لعدد من المثالب العربية ، وخصص بندا طويلا (هو البند ٣) من هذه البنود المرقمة لـ «الشخصية الفهلوية» ، ثم مضى فورا الى نقد تقليد النموذج الفيتنامي . عند هذا الحد ، نتوقع ان ينسب هذا التقليد الواهم والاسطورة الحربية الشعبية الفلسطينية العربية الى «الشخصية الفهلوية» . ولكن ! لا ! العظم هو ايضا مع «حرب التحرير الشعبية» ، (يسلم لمحمد كشلي بعد «نقاش» !) : تل ابيب ليست ولا يمكن أن تصبح سايغون (١) ؟ العظم يمضي جانبا . في رأيه ، المسألة ليست هنا (هذه ليست مسألة ، هذه المسألة ليست موجودة) ! المسألة هي تحويل عمان الى

(١) ــ « النقد الذاتي بعد الهزيمة » ، دار الطليعة ، عدة طبعات .

(١) ــ سكان سايغون فيتناميون ، سكان تل ابيب يهود .

هانوي !؟ ويعود العظم في نهاية الكتاب ليؤكد حـــرب التحرير الشعبية مرة اخرى . لقد اسهب في نقد عدد من المثالب العربية ، واسهب بشكل خاص في نقد «الشخصية الفهلوية» ، ولكنه اوجز واختصر عند تناوله «حرب التحرير الشعبية» ، رغم انه «تناولها» مرتين او ثلاث (١) : التكرار اغناه عن البرهان . فاتته هذه الفهلوية المرفوعة الى أس ٤ : «حرب التحرير الشعبية» .

ما **يقوله** اصحاب «حرب التحرير الشعبيـــة» ليس كثـيرا .

باهي محمد يقول لنا ان اصحاب الحرب المذكورة قد خصصوا كتبا كثيرة لعرض نظريتهم . هذا صحيح وخطأ . كتب ومقالات وبيانات كثيرة : نعم . نظرية : لا . كلمات ، «شعارات» كثيرة ، متكررة ، متلونة ، مشددة باللـــون الاسود : نعم . مضامين كثيرة : لا . المضامين قليلـة . لا شيء محدد سوى معارضة الحرب الكلاسيكية والنظاميـة (+ بعض السقطات والهفوات والارتباطات التي تكشـــف وتفضح الخط الحقيقي تحت سيل الالفاظ . هذا موضوع اخر ، نتركه للنهاية) . والكاتب المغربي يسجل هـــذا التحديد بوضوح : حرب التحرير الشعبية هي عكس الحرب النظامية والكلاسيكية ، وهي عكس خط القاهرة و«الجزء الاكبر والاهم من الرأي العام العربي في المشرق» ، وعندها يلتقي «الجميع» : فتح ، حواتمه ، عظم ، حبش ، كنفاني ، احزاب (ودول) . **الفوارق صغيرة ، الجوهر واحد** .

الكلمات والجمل والشعارات كثيرة . المضامين قليلة . وبانتظار ان يقدموا لنا مزيدا من التحديد ، نعرض هنـــا

---

(١) ـ المجموع ٦ ـ ٧ صفحات معظمها عن فيتنام وشمالها وجنوبها !

ـ في اطار هذه الدراسة ـ فهمنا لهذا الموضوع الذائع الصيت .

III

هل «حرب التحرير الشعبية» مجدية وممكنة ؟

هنا ، بعكس منهج الشمول (منهج الادراك الاجمالي الغامض المختلط للاطفال الرضّع) ، **نميز** ، نبدأ بعملية تمييز ، داخل «الساحة» ، داخل ميدان الحرب الممكن ، داخل حقل الادراك (حيث ان الادراك هو التمييز . لا ادراك بلا تمييز . عالم «المساواة» ـ تحت شمولية المصطلح و«الشعار» ـ هو عالم العدم ، «الليل فيه كل القطط رمادية») .

هل «حرب التحرير الشعبية» ممكنة ومجدية ؟ اين؟ ومتى ؟ وكيف ؟ **واولا : اين ؟**

١ ـ في فلسطين اليهودية السكان ، في اسرائيل ٤ حزيران ١٩٦٧ وبما فيها التجمعات العربية القليلة :

اذا صحت المقاومة الفلسطينية واستأصلت الايديولوجيا الوهمية من جذورها وتوحدت (اي اذا وقفت الان واعلنت ان كل خطها السابق ، الفكري والسياسي والستراتيجي ، خطأ في خطأ ، ثم صححت ، باعتبار ان هذا التصحيح **شرط** لبقائها ونموها ودوامها في الخمسين او المئة سنة القادمة) ، واذا سار العرب في طريق الوحدة والعقل ، ولو اصبحت عمان هانوي ودمشق هافانا والقاهرة بكين

وكسروان كوريا الشمالية ، في هذا الافتراض المثالي :

تكون «حرب التحرير الشعبية» (وما يشبهها وما هو دونها) مستحيلة ٢٠٠٪ في هذا الميدان .

لان تحويل تل ابيب الى سايغون مستحيل ٢٠٠٪ .

٢ ـ ما هي الحال في **فلسطين العربية السكان** ، مثلا في **الضفة الغربية المحتلة** (نابلس ، رام الله ، الخليل ، اريحا ، القدس العربية ، الارياف والتلال والسهول العربية) ؟ هل حرب التحرير الشعبية ممكنة في **هذا** الميدان المحدد ؟

بالطبع ، نحن الان بعيدون عن هذا السؤال ، في الواقع العملي . العمل الفدائي في الضفة الغربية ليس الان على عتبة الانتقال الى مرتبة اعلى ، الى مرتبة قتال انصار او بؤرة متنقلة ، ناهيك عن حرب تحرير شعبية شاملة ، بل هو قريب منه الادنى ـ الادنى .

ولكنني اطرح السؤال **نظريا** ولمستقبل ما ، على افتراض حصول التصحيح الكبير المذكور في آ ، اي مع افتراضي ان المقاومة استأصلت الاساطير ومع افتراضي اننا «صرنا بشرا» (وهذا لا يعني بالضرورة تحويل عمان الى هانوي وكسروان الى كوريا شمالية . سنعود الى هذا الموضوع في مكانه) .

في هذه الحال ، غير القريبة ، والممكنة واللازمة ، يمكن ان نصل ، بعد تطورات محددة وفي ظروف محددة الى ما يمكن تسميته «حرب تحرير شعبية» في الضفة الغربية . ويمكن ان لا نصل . (وليس ضروريا ان نصل لكي يتحقق التحرير) .

الوصول ليس محتوما . وليس ضروريا . **النمو**

ضروري وهو محتوم ، في حال التصحيح ، اي في حال وعي الضرورة . ولكن وصول النمو الى مرتبة « حرب شعبية» عامة تأكل الاخضر واليابس تحت اقدام المحتلين الاسرائيليين في الضفة الغربية ليس محتوما وليس ضروريا. يمكن ويجب أن ننتصر (١) بدون ذلك .

ان المقاومة الوطنية في فرنسا ، بلجيكا ، هولندة ، دانمارك، نرويج ، بوليفيا، تشيكوسلوفاكيا ، يوغوسلافيا، اليونان ، البانيا ، اوكرينيا ، روسيا ... ضد الاحتلال الالماني (١٩٤٠ - ١٩٤٥) لم تصل الا نادرا الى هذا المستوى الذي ينشده المقاومون الفلسطينيون وننشده معهم .

لقد وصلت المقاومة الوطنية في اوروبا المحتلة الى مستوى «حرب شعبية» عامة في بعض الحالات ، وظلت في مستويات ادنى في معظم الحالات .

الحالات المتقدمة : يوغوسلافيا ، اليونان ، البانيا ، مناطق من روسيا واوكرانيا ، وكلها بلاد او مناطق جبال وغابات . الحالات الدنيا : هولندة ، دانمارك ، بلجيكا ، دوقية لوكسمبورغ ، بوهيميا ، مورافيا ، الخ .

لنأخذ فرنسا بوصفها حالة متوسطة . فرنسا بلد ٤٠ مليون نسمة ، نسبة الفرنسيين الى المحتلين الالمان هي اربعون الى واحد ، او ربما مئة الى واحد . تسعة اعشار الفرنسيين يكرهون الاحتلال . ونسبة كبيرة منهم تساعد «الانصار» ، ونسبة اكبر تشارك في «المقاومة» في احد

---

(١) - في حرب تحرير الاراضي المحتلة في ٥ حزيران ، او في حرب تحرير فلسطين من النهر الى البحر ، او في ما هو اقل من تلك او اكثر من هذه او ما بينهما .

مستوياتها . هناك خونة ، متعاونون ، ميليشيا لافال الخ.
الالمان واعوانهم يسلطون العسف والاعتقال ، يجرون افواجا من العمال والشباب الى المصانع في المانيا ، يقتلون الرهائن . ان تصرفات المحتل ، خصوصا بعد ١٩٤٢ ، تدفع يوميا باتجاه المقاومة المسلحة . هناك حزب شيوعي قوي . وأسلحة تأتي من لندن ، ثم من الاميركان . وهناك جبهة واحدة حقيقية رغم الخلافات . وهناك في العالم الفسيح ، معارك ستالنغراد وكورسك والعلمين وانزال في ايطاليا ثم انزال في نورماندي ...

ومع ذلك ، هذه المقاومة الوطنية الفرنسية الجبارة فعلا ماذا كانت ؟

كانت : ١ـ قتال الانصار في كتلة جبل فركور لفترة، (ثم قضي عليه) ، مناطق ماكسي maquis عالية وعرة مشجرة ، محددة ومحدودة ، في جبال الالب ، الجورا ، الكتلة المركزية . ٢ـ اعمال سابوتاج ، تخريب، نسف جسر ، نسف قطار ، اعدام ضابط الماني او متعاون معروف ومرتكب جرائم (لا اعدام عامل فرنسي يعمل في مصنع او في مزرعة متعاون كبير) . ٣ـ اضراب او مظاهرة طلابية . ٤ـ اصدار صحف سرية (بالمئات ولكن سرية) . ٥ـ شبكات تهريب اسرى او طيارين انكليز واميركان وديغوليين اسقطت طائراتهم (مثلا عن طريق اسبانيا) . ٦ـ شبكات استعلام (اي تجسس) لصالح الحلفاء ... ٧ـ في ادنى مستوى من مستويات المقاومة: موقف اعاقة وتأخير في عمل الموظفين والمهندسين والعمال الفرنسيين . ٨ـ في المرحلة الاخيرة (صيف ١٩٤٤ حتى ربيع ١٩٤٥) ، مساهمة الانصار في بروتانيا قرب نورماندي وفي مناطق اخرى ، انتفاضة شعب باريس بقيادة الكولونيل

رول ، انضمام «قوات فرنسا في الداخل» الى « قوات فرنسا الحرة المقاتلة» اي الى جيش فرنسا الديغولي القادم مع جيوش الولايات المتحدة وبريطانيا- وكندا لتحرير فرنسا واوروبا بقيادة ايزنهاور ، ومساهمة هؤلاء الانصار المنظمين تماما في الحرب في جنوبي المانيا بوصفهم جزءا من «جيش الراين والدانوب» .

ان المقاومة الوطنية في فرنسا لم تحرر فرنسا من الجنود المحتلين الالمان ، **ساعدت** فقط على التحرير .

المثال اليوغوسلافي هو المثال الاكثر تقدما . جندت قوات الانصار الصائرة جيش التحرير الشعبي مئات الالوف من المقاتلين ، جمدت عشرات الفرق الالمانية والايطالية والمتعاونة ، حررت مناطق واسعة (القسم الاكبر من مساحة البلاد) . ولكن ، يجب ان نشير الى ان قوات الانصار كادت ان تسحق في صيف ١٩٤٣ على يد حشد كبير من القوات الالمانية ، لولا ان جاء استسلام ايطاليا ليقلب الموقف : فجأة سقطت اوسع مناطق كرواتيا والساحل والجزر في يد قوات الانصار (التي كانت موجودة في هذه المناطق) والتي جندت عشرات الالوف من المقاتلين الجدد (وارتفع تعداد قوات الانصار من عشرة آلاف الى ٢٠٠ الف).

من شمالي القوقاس حتى منطقة بروتانيا ، ومن جزيرة كريت حتى شمالي نرويج ، كانت المقاومة الوطنية للشعوب المحتلة والمستباحة **جزءا من** الحرب الكبرى الدائرة رحاها بين الاتحاد السوفياتي ـ بريطانيا ـ الولايات المتحدة الخ والمانيا ـو ـ حلفائها . لولا هذه الحرب الكبرى (ولولا دخول الاتحاد السوفياتي الحرب في حزيران ١٩٤١ ، ولولا تقدم الجيوش السوفياتية والاميركية الخ ، وهزائم آلة الحرب الالمانية على يد هذه الجيوش ...) ، لما ارتقت

المقاومة الوطنية الى ما فوق المستوى الادنى ولانتهى المقاومون الاوائل بشكل دائم الى افران الغاز في معسكرات اوشفيتز وبوخنفالد ... ان تسعة أعشار المآثر الحربية للمقاومة (لعل الاصح ٩٩٪ من هذه المآثر) جاءت بعد معارك ستالنغراد وكورسك والدنيبر وبعد الانزال في ايطاليا ...

يمكن ويجب ان ندين محاولات طمس اهمية وفعالية وجدوى هذه المقاومة الوطنية الجبارة لشعوب اوروبا المحتلة ، ايا كان مصدر وشكل هذه المحاولات ، يمكن ويجب ان نشجب تقاعس وحسابات وتصرفات الانكليز والاميركان بصدد المقاومة في فرنسا وايطاليا واليونان الخ، يمكن ان نتجادل حول المضامين السياسية والاجتماعية لهذه المقاومة القومية الهائلة ، يمكن الخ ، ولكن لا يمكن الشك في ما هو بديهي : ليست هذه المقاومة هي التي هزمت آلة الحرب الالمانية ، بل الجيوش السوفياتية (النظامية جدا) والجيوش الاميركية ـ الانكليزية ـ الكندية ـ الاوسترالية ـ الفرنسية الحرة ـ المغربية الخ .. (النظامية جدا) ومعها المقاومة وقوات الانصار (الساعية مع نموها الفعلي نحو مزيد من النظامية) .

ان الاتحاد السوفياتي قد أعد العدة ، قبل الغزو الالماني بسنوات ، للحرب الشعبية ، اي لمشاركة الشعب في الكفاح ضد الغزو ... ولكن ، لو ان ستالين سار على هدي ميثولوجيا وكلامولوجيا «حرب التحرير الشعبية» الفلسطينية ـ العربية ، لكان الان الشعب ـ العرق الالماني مقيما في بولونيا وبيلوروسيا وروسيا واوكرانيا ، وكان الروس والبولونيون والبيلوروس والاوكرينيون (او ما تبقى منهم) مقيمين في سيبيريا الغربية او الوسطى او الشرقية تحت «حماية» عرق الاسياد .

ان المقاومة الفلسطينية يمكن ويجب ان تنمو في الضفة الغربية المحتلة دون ان تضع لنفسها مهمة «تحرير الضفة الغربية» ، بل دون ان تضع لنفسها واجب ان تصل الى المستوى اليوغوسلافي لاعوام ١٩٤٢ – ١٩٤٥ ، او ان تضع لنفسها واجب ان تقيم ماكي maquis جبل فركور Vercors او ماكي جبال سيفين Cévenns او غابات وجبال آردين Ardennes وفي حال نموها (اي في حال تحقق الافتراض الآنف : التصحيح الكبير) ، فانها ستسحق قطعا وبسرعة اذا لم تنطلق من حساب المساحة (المجال) والتضاريس والنبات ، والبشر ، والقمع ، والارباح والخسائر ، واستعداد وخطط الجيوش العربية.

هناك من يعتقد ان مراعاة الـ opportunité – حساب الارباح والخسائر ، حساب ما هو ملائم وما هو غير ملائم – هي opportunisme اي انتهازية . (لعل ليس ثمة من يقول ذلك . ولكن ذلك في النفس الصميمي) . وذلك ليس ثورية بل حماقة .

٣ – ان فاعلية المقاومة الراهنة في قطاع غزة اكبر بكثير منها في الضفة الغربية . ومع ذلك ، هنا ايضا نحن بعيدون عن النموذج اليوغوسلافي او الالباني او عن الـ maquis الفرنسي او عن فيتنام الجنوبية.

ومطلوب لكفاح غزة ان ينمو ، ولن ينمو اذا «تسلطت» عليه «نماذج» وخرافات .

ان الفضل في القوة النسبية للمقاومة في قطاع غزة يعود – على حد قول جيرار شاليان (١) – الى ازدحام

---

(١) – في جريدة لوموند ديبلوماتيك (عدد تموز ١٩٧٠) ، وشاليان كان احد رعاة الجبهة الديموقراطية ثم « لف » على الجبهة الشعبية .

البشر ، والى سياسة الادارة المصرية الوطنية (التي ليست ادارة الملك حسين) في القطاع طيلة عشرين سنة (٢) .

ومن المعروف ان هذا النضال لسكان غزة ومنظماتهم المقاومة (منظمة التحرير ، الجبهة الشعبية ..) لا صلة له بالكلامولوجيا اليسراوية للاشقاء في «المركـــز» (بيروت ، عمان) — والاشقاء في «المركز» يتهمون رفاقهم الغزاويـين باليمينية — . وفي اليوم الذي سينزل فيه هذا النضال تحت جناح «الهدف» او «الحرية» والصحف الشقيقــة المشابهة مع الاعتدال ، فان هذا النضال الفعلي سينـزل الى الحضيض . وفي اليوم الذي سيقطع فيه الصلة مـع اساطير الاشقاء «الكبار» ، فانه سيتقدم اكثر .

٤ — في **سيناء** لن يكون هناك ، في مستقبل قريب او بعيد ، لا «حرب شعبية» ولا ماكي ولا بؤرة ريفيــة او مدينية ، على الاقل لعدم وجود ارياف او مدن .

في **الجولان** ، اثر حزيران١٩٦٧ ، بات البشر قليلين.

في **جنوبي لبنان** ، قل البشر سلفاً . وربما فـــي **الاغوار** .

تلك هي «حرب التحرير الشعبية» — الاسطـــورة العظيمة الصائرة واقعا غير عظيم . هذه هي خطـــة (!) استدراج العدو في «الواقع الملموس» .

I V

ولكن الايديولوجيين يقولون ايضا : حرب التحريـر

---

(١) — انه يبالغ . الصح : ١٥ سنة ١٩٥٢ — ١٩٦٧ .

الشعبية **في الساحة العربية الكبرى ، على امتداد الارض العربيــة .**

نحن نقول : اين ؟ متى ؟ كيف ؟ وضد من ؟

هل نعلن حرب التحرير الشعبية ضد الاحتــــلال الاسرائيلي في وادي النيل ، في جبال كردستان وكسروان وكوردوفان واوراس وحضرموت؟ هذه المناطق ليست تحت الاحتلال الإسرائيلي .

فهل نستدرج «آلة القمع الصهيونية» (١) الى هذه المناطق ؟ وكيف ؟ لعل الاسرائيليين مكتفون من الان والــى عشرين سنة قادمة بفلسطين وسيناء والجولان (وقـــد يضيفون اليها بعض المناطق القريبة المفرغة من السكان) . لعلهم مسرورون بالوضع الاحتلالي الراهن ـ حيث ارجلهم في قناة السويس ، وقفاهم على تلال الجولان ـ ولا يقبلون ان يستدرجوا الا بالشروط التي يرونها ملائمة ، على اساس حساب الملائم وغير الملائم (كما في ١٩٦٧ !) .

هل ننظم «حرب التحرير الشعبية» ضد غزو المشاة البحرية الاميركان في جبال سوريا والجزائر وبرقة الخ ؟ ولكن لعل هذا الاسطول السادس لا يرى حاجة الى الخروج من البحر والنزول الى اليابسة . هل نلاحقه في البحـــر ونجعله طعاما للسمك بواسطة الزوارق الشعبية المسلحــة بالسلاح وسلاح الافكار الثورية ؟

ثم اي شعب استطاع ان يقاوم جديــا **الاحتلال** ، اذا لم يصمم اولا على مقاومة **الغزو** وبواسطة ما يتوفر لديه من قوات نظامية بالدرجة الاولى ؟

---

(١) ـ هذا هو اسم الجيش الاسرائيلي في بعض ادبيات المقاومة !

بتعبير اخر : «الاستدراج» (!) النظري هو التسليم العملي (١) . انه اذن ـ بين عدة اشياء ـ خنجر للفتك بمعنويات الشعب .

ولكن لعل الايديولوجيين يقولون : ان حرب التحرير الشعبية لا تستهدف الان القوات الاسرائيلية التي لم تأت الى القامشلي وأسوان ، ولا الاسطول السادس الذي لم يحتل سهولنا ومدننا ولم يطوق جبالنا ، ولكنها تستهدف **المصالح** الامبريالية ؟

«**حرب**» على «**المصالح**» الامبريالية ؟

نعم !؟ كما يبدو ، في اللغة العربية (وفي جميع اللغات) ، لكل كلمة معنى حقيقي ومعنى مجازي . **فلنحارب المصالح** الامبريالية !!

اية مصالح ؟ اين ؟ في اية بلدان ؟ وكيف ؟

شركات النفط ؟ وهل نحاربها مع حكومات البلدان العربية المعنية ام نحاربها ضد هذه الحكومات ؟ هل نحارب ـ بالمعنى الحقيقي او المجازي ـ انظمة الحكم العربية ؟

بالضبط ، هذا ما سيقوله بعض ايديولوجيي المقاومة! اننا نقصد بحرب التحرير الشعبية على امتداد الوطن العربي الكبير ، حرب التحرير الشعبية ضد انظمة الحكم العربية !

نحن نقول : ضد من بالتحديد ؟ ضد اي نظام ؟

من «المفهوم» ان القائلين لا يخصصون !

لأن القائلين هم ايضا بعض الانظمة ، الانظمة القائلة ، القوالة بحرب التحرير ، الشعبية ، القومية ، الثورية

(١) ـ سمي ايضا « الانسطاح » . والانسطاح هو « انبطاح » .

هلمجرا وبـ «رفض التصفية» ، وهنا بيت القصيد . هذه الحرب التحريرية المجازية هي حرب حقيقية ضد الدولة العربية التي حملت وحدها القسط الاكبر من الحرب ، في حزيران ١٩٦٧ وبين حزيران ١٩٦٧ وتمديد وقف أطلاق النار حتى اذا تجدد عشر مرات .

هذه الحرب المجازية ـ الحقيقية ضد الجمهورية العربية المتحدة تشارك فيها منظمات وأنظمة .

ان «حرب التحرير الشعبية» ـ في الواقع العملي المنظور ـ هي الغطاء الايديولوجي الممنوح للدول والجيوش المتهربةمن القتال. واقعيا، «حرب تحرير الشعبية» = عدم تعبئة الطاقات (الجيوش ، والبترول ...) . هذا هو الواقع السياسي العربي الذي «تمردت» عليه المقاومة الفلسطينية . تجربة السنوات تثبت ان هذا الواقع اقوى، وان التمرد سلك السبيل الخاطىء ، العاجز ، **المعزز** .

وهنا نصل الى نقطة الداء الجوهرية : ما يسميه الايديولوجيون ونسميه معهم علاقة المقاومة الفلسطينيةمع الانظمة العربية .

ولكن قبل ذلك ، سيكون علينا ان نعالج الوجه الاخر للايديولوجيا المقاومة ، الوجه الذي يكمل «حرب التحرير الشعبية» ، قصدنا : رفض قرار مجلس الامن التصفوي الانهزامي الاستسلامي الخ الخ .

وعلينا قبل هذا وذلك ان ننتهي من «حرب التحرير الشعبية» ، كأسطورة وكخدعة . سنعرض الان وننقد نموذجا من كتابات هذه «الحرب» هو بالحقيقة نموذج جيد بالمقارنة مع غيره !

V

يقدم لنا **سعد الدين ابراهيم** «**حرب التحرير الشعبية**» في «**دراسات عربية**» ، حزيران ١٩٦٨ ، ص ٣٧-٥٥ . «يغطي» الكاتب «تجارب الصين واندونيسيا والملايو وكوبا والفيليبين والجزائر وفيتنام ويوغوسلافيا وكينيا وايرلندة» . هل من مزيد ؟ ويعتمد كتابات ماوتسي تونغ وناسوتيون وغيفارا وبوميري وشالمرز جونسون الخ . هل من مزيد ؟ ولكنه بالمقابل «**يترك للقارىء مهمة** (!) استخلاص الدروس المستفادة من هذه التجارب وتطبيقها على المنطقة العربية في المواجهة المرتقبة بين الشعب العربي من ناحية والصهيونية والاستعمار من ناحية اخرى» (ص ٣٧) !! وهنا فعلا نريد المزيد ، لان المزيد يكشف الاسطورة ويفضح الخدعة .

ولئن كان الكاتب يعطينا القليل على الصعيد الفلسطيني – العربي ، الا انه يعطينا السؤال الجوهري ، بأحرف مشددة ، السؤال الذي هو جوهر «حرب التحرير الشعبية» ، والذي يكشف ان وضعنا الفلسطيني – العربي هو خارج السؤال !

يقول الكاتب :

«**والمعادلة الصعبة** من وجهة نظر الشعوب هي : **كيف (١) تستطيع الجماهير بأغلبيتها الكمية ولكن بضعفها الحربي ان تتغلب على الاقلية المتسلطة بجيوشها القوية واسلحتها الثقيلة ومهارتها التنظيمية ؟**» (ص ٣٩) .

---

(١) – التشديد في الاصل ، وهذا المقطع الوحيد المشدد في المقال .

والحال ان وضعنا الفلسطيني والعربي خارج هذا السؤال ، خارج هذه «المعادلة الصعبة» والاسطورة السهلة .

صين ١٩٢٧–١٩٤٩ وفيتنام واندونيسيا والملايو والفيليبين وكوبا ، كلها **داخل** الموضوع . وكذلك الحرب الاسبانية ضد نابوليون وحرب الاستقلال الاميركية ضد الانكليز (١) .

ولكن الحالة **الفلسطينية** والحالة **العربية** الراهنة **خارج** الموضوع .

الحالة **الفلسطينية** خارج الموضوع لان «الجماهير» في «فلسطين المحتلة قبل ١٩٦٧» ليست الا قلة قليلة . هذا اولا . و«الجماهير» في «فلسطين الموحدة من النهر الى البحر» او في رقعة الاحتلال الاسرائيلي كلها (= فلسطين + سيناء والجولان) ليست الا اقلية . هذا ثانيا . ان «الجماهير» ليست الاغلبية **الا** في ثانيا ناقص اولا ، اي في الاراضي التي احتلت في حزيران ١٩٦٧ . والحال ، ان ايديولوجيا المقاومة الفلسطينية وأشقائها العرب تقوم جوهرياً على التنكر لهذا التحديد المصري الناصري !

الحالة **العربية** خارج الموضوع لان «الجيوش القوية» و«الاسلحة الثقيلة» الاسرائيلية والاميركية ليست «محتلة» سوريا ومصر والعراق وموريتانيا . وبالتالي فان مسألة «كيف تستطيع الجماهير بأغلبيتها الكمية أن تتغلب على «تسلط» «جيوش العدو وأسلحته الثقيلة» غير واردة .

---

(١) ــ الكاتب « غطى » ايضا هاتين التجربتين !

نحن العرب ، نحن اليوم **ادنى** من هذا الوضع ، ليس لنـا «شرف» مواجهته ، وكل الايديولوجيا الخرافية هي تبرير للهروب من مواجهة ما هو ادنى منه ، للهروب من مواجهة الوضع الفعلي الراهن ، انها تخريب كبير ضد المواجهـة الواقعية الحقيقية .

ان التطبيق الحرفي للمعادلة الصعبة يدعونا باعتبارنا «الاغلبية الكمية» الى ان نحقق اولا «ضعفنا الحربي» ، اي ان نصرف جيوشنا ، لكي ندخل في الموضوع .

ولقد مهد الكاتب سعد الدين ابراهيم لمعادلته الصعبة بفقرة اخرى تقول :

«الحرب الشعبية هي اولا وقبل كل شيء **ثورة** (مع التشديد !) بكل ما تعنيه هذه الكلمة» .

ــ «الثورة» ، حتى المشددة ، هنا لا تعني شيئا . والحرب حتى الشعبية هي **حرب** ، حرب بالمعنى الحقيقي للكلمة ، المعنى الحقيقي الذي يعصم من الادب والتأدب ومن الخداع .

«هي ثورة الاغلبية المقهورة ضد الاقليـة المتسلطة ، سواء كانت تلك الاقلية جيش احتلال اجنبي أو فئة طبقية مستبدة ومستغلة » .

ــ الفرق كبير بين الامرين ! واذا كنتـم تريدون ان تطبقوا **عربيا** الامر الثاني ، عليكم نا **تحددوا** ، ان تخرجوا من المخلوطة العربية الشاملة . اما **فلسطينيا** ، ــ في مـا تسمونه المسألة الأم ، في قضية تحرير «فلسطين المحتلة قبل ١٩٦٧» ــ ، ف «الثورة» و«الحرب الشعبيـة» (اي الآب والابن) فلا يواجهان «جيش **احتلال** او فئة طبقيـة مستبدة» ولا كليهما، بل يواجهان جيشا **ومجتمعا** (مجموع طبقات) ودولة .

«الاغلبية المقهورة تفتقد السلاح الثقيل (١) ... وتفتقد جيشا نظاميا محترفا يحارب باسمها» .

ــ في «الساحة العربية الشاملة» ، وفي كل من الاقطار العربية محددة بالاسماء ، هل الاغلبية المقهورة تفتقد اولا تفتقد للجيش النظامي المحترف ؟ ام ان هذا التحرير الشعبي الادبي كله وظيفته ان يبرر ويبرىء الجيوش ويضيع الموضوع ؟

بتعبير اخر ، لئن كانت الحالة الفلسطينية والحالة العربية خارج الموضوع ، فان هناك حالة هي ــ فعلا (!) ــ داخل الموضوع ، قصدنا الحالة الفلسطربية . هذا ما نعترف به طوعا وبلا اكراه ، محيين بتواضع منطقنا الصوري تسامي الوحدة الجدلية الديالكتيكية .

V I

١ ــ حتى الان ، بقينا ــ بوجه عام ــ على ارض المعرفة ، معرفة الصواب والخطأ ، دفع الخطأ بالصواب ، دفع الوهم بالواقع ، والنظر الايديولوجي الخيالي بالتجربة والممارسة . ولكن الخطأ له وظيفة ، يؤدي دورا (سواء كان اصحابه واعين او غير واعين لهذا الدور) ، دورا واقعيا وموضوعيا ، ايا كانت النوايا الذاتية . الدور الذي ادته وتؤديه خرافة الحرب الشعبية الفلسطربية دور بالغ السوء .

من المفيد ان نلمس الان احد وجوه هذا الدور

---

(١) ــ هذه النقاط في الاصل . وهي هنا اسلوب ادبنا الحديث وصحافتنا المنقول الى كتابات العلم الثوري !

البالغ السوء . لنرجع الى حجة الانطلاق :

«الحرب النظامية فشلت ، الحرب النظامية ستفشل، اذن حرب التحرير الشعبية» .

نحن نقول :

حين «تثبتون» ان الحرب النظامية ستفشل حتما ودوما ، فان هذا لا يثبت ان «حرب التحرير الشعبية» ستنجح . ان نجاح بل ان **امكان** «حرب التحرير الشعبية» هو الذي يحتاج الى اثبات ، الى برهان ايجابي ، وضعي positif . والحال ، انكم لم تعطوا هذا البرهان ، نظريا . وعمليا ، ان تجربتكم – فلسطينيين وعربا ، وفلسطربيين – خلال ثلاث سنوات او ست سنوات ، وفي هذا العام السابع او الثامن ، انما تثبت العكس. بالحقيقة، ان الماركسيين – اللينينيين العرب لم ينتظروا العام السابع او الثامن حتى يقدروا هذا الموقف التاريخي ، حتى يتوقعوا سلفا وبدرجة ما هذه النتيجة ، وحتى ينبهوا ويحذروا . وعلى الارجح ، هناك جهة اخرى كانت تعرف سلفا ، هي العدو ، هي تلك الصحف العالمية التي نفخت المقاومة وفلسفتها اليسراوية نفخا ، التي نقرت على الدف للذين بلا دف يرقصون .

اذ انه ، اذا كنتم «تثبتون» (!) ان الحرب النظامية ستشل حتما ودوما ، واذا كانت «حرب التحرير الشعبية» خرافة وخدعة و«شيئا لا معنى له» (١) اي له معنى سيء وضار –وهي كذلك– ، فان من «يثبت» (!) ان الحرب النظامية ستفشل حتما ودوما انما «يثبت» ضرورةالتسليم،

---

(١) – كما قال لي رجل مسؤول حمل هذا الشعار على اكتافه سنوات .

السلام ، الاستسلام ، التصفية . وبعد ، فان حسن النوايا بلاط الجحيم .

٢ — من المعروف ان «الساحة الفلسطينية ـ الاردنية» ـ اي الساحة الفدائية في شرقي الاردن — قد استقبلت ما هب ودب اليها من «ثوار» العالم ، من التروتسكاويين بأجنحتهم الاربعة ، من الفيفاراويين ، من المتعطشين والمتعطشات الى «بؤرة» ينهلون وينهلن منها ، ينهلون وينهلن فيها . ذلك وجه من وجوه المسألة يستحق «وقفة نقدية» (١) .

ميشيل بابلو Pablo ، صاحب مجلة **«تحت راية الاشتراكية»** ، لسان حال «الاتجاه الماركسي الثوري في الاممية الرابعة» ـ احد اجنحة التروتسكية ، جناحها الايمن اي الاكثر اعتدالا ! ـ كان من ابرز هؤلاء الدابّين او ابرزهم على الاطلاق . رعى «الجبهة الشعبية الديمقراطية» ، حيته «الحرية» مرارا ونشرت مقالاته وهي تعلمنا ان هذا غيض من فيضه .

وتشاء الصدف ان مجلة «تحت راية الاشتراكية» كانت قد نشرت (في عدد تشرين الثاني — كانون الاول ١٩٦٦) مقالا طويلا اكدت فيه ان حرب التحرير الشعبية ضد اسرائيل خرافة لا طائل تحتها . وجهت كلامها الى دمشق وقالت : ان العرب لا يستطيعون ان يفرضوا شكل الرد على اسرائيل ، الرد الاسرائيلي سيكون ردا من الطراز الكلاسيكي . بل اكثر من ذلك : امتدحت المجلة — على

---

(١) ـ هذه العبارة هي ايضا من عبارات الفكر المقاوم ، واليسار الجديد ، وانصهارهما الجدلي .

الصعيد المبدئي والستراتيجي والسياسي اعتدال عبد الناصر في مضمار المسألة الفلسطينية .

هذا كله -على ما يبدو- لم يمنع ميشيل بابلو وجماعته ان يرعوا الايديولوجيا الخرافية للمقاومة كما نظرها ودفعها الى الامام حواتمه ورفاقه «المحررون» (١).

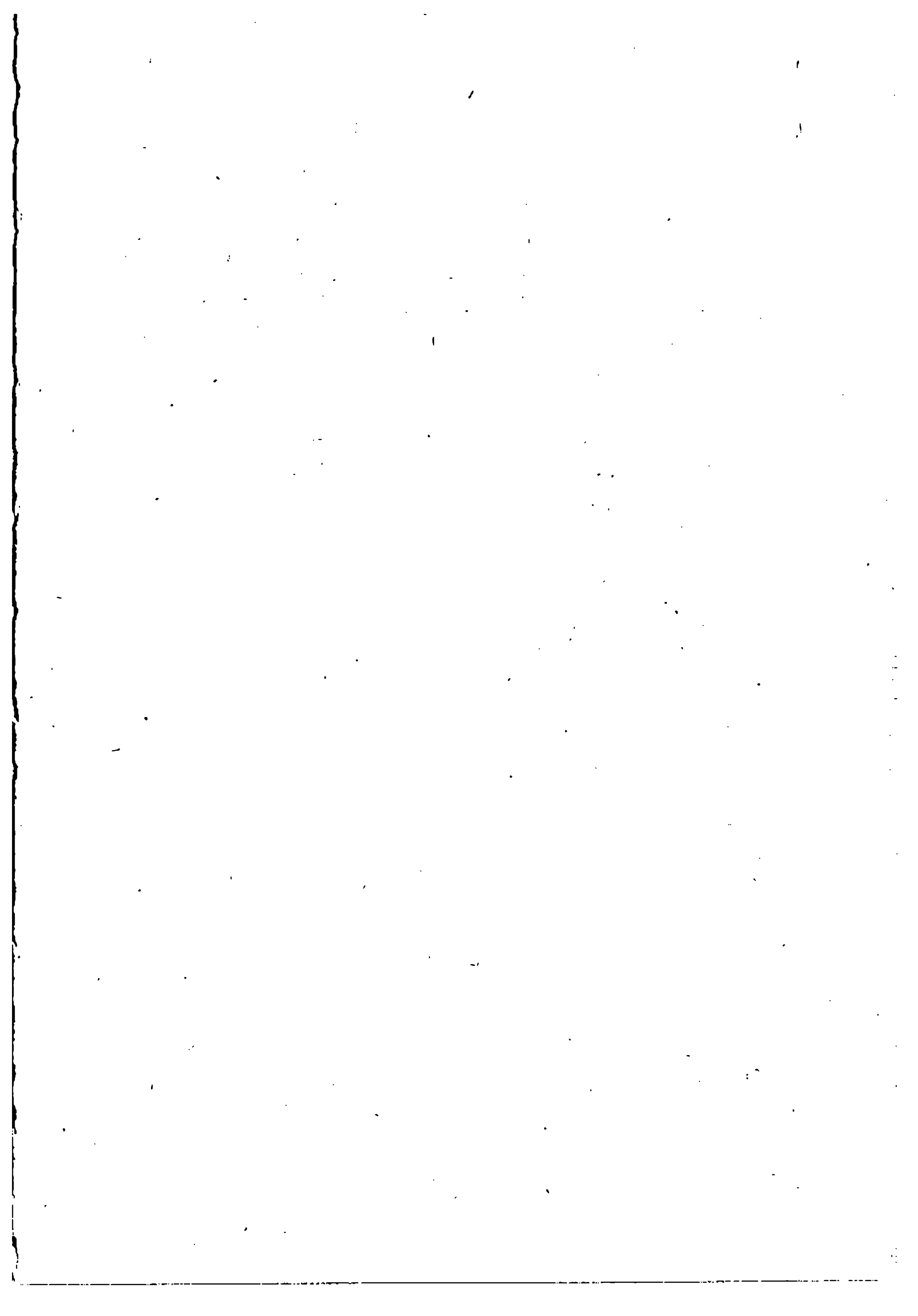
وبعد ، فان حسن النوايا بلاط الجحيم .

اننا نقترح على المقاومة الفلسطينية انتقيم لنظرية(؟) حرب التحرير الشعبية الاحتفال المهيب الذي يليق بها : احتفال الدفن .

وننتقل الى الشق الثاني في ايديولوجيا المقاومة : الكفاح ضد قرار مجلس الامن وكافة الحلول الاستسلامية، الانهزامية ، التصفوية ، الخ .

---

(١) - كتاب «الحرية» ، قادة منظمة الاشتراكيين اللبنانيين ، مع الاعتذار من محمد كشلي .



٣

« مطاردة القرار التصفوي »
بدلاً من المنظور التاريخي للصراع

I

اسبوعيا ، يوميا ، تقوم صحف واذاعات وبيانــات وقرارات الخ المقاومة الفلسطينية بمطاردة «قــرار مجلس الامن التصفوي» و«كافة الحلول الاستسلامية» ، «علــى امتداد» السنوات الثلاث ، مطاردة متعاظمة . حتــى أن «موضوعة» (؟) رفض قرار مجلس الامن الخ تكاد تبــز «موضوعة» (؟) حرب التحرير الشعبية . وهذا في طبيعة الامور في طبيعة **مصالح** هذا الكون !

هذه المطاردة المتعاظمة مسيرة بأسلــوب المزاودة والابتزاز . مع أن صحف فتح ومنظمة التحرير لم تقصر ابدا فيهذا المضمار، فان «الحرية» و«الهدف» و«مؤلفات» (اي مقالات وقرارات ومشروعات الخ) نايف حواتمه ومحمد كشلي او ن.خ. تتهم «اليمين» المقاوم وغالبية المقاومــة بالتلكؤ والتخلف . نايف حواتمه أو شقيقه (المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية) (١) يذكر ان زعيما فلسطينيا اقطاعيا —

---

(١) — في كتاب « حول ازمة حركة المقاومة الفلسطينية » ، دار الطليعة ، طبعتان في اربعة شهور ، ستة الاف نسخة . الطبعة الثانية ، ص ٧٤ .

دينيا (الحاج امين الحسيني) قد بز المقاومة في هذا المضمار (الذي هو مضمار الواجب الوطني والثوري في فضح القاهرة !) . فما هو الحل ؟ الحل ، حسب المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية ، هو فضح القرار الرجيم ونصيره العربي الاكبر ، **يوميا** . وبالحقيقة ، هذا ما تفعله المقاومة الفلسطينية : **يوميا** .

هذا القرار ، في نظر مطارديه ، بالغ السوء . في نظرنا ، انه اسوأ . نادرا ما يعددون مساوئه . بوجه الاجمال ، يكتفون برجمه . (انه ، بين جملة نعوت ، «القرار السيء الصيت») . ولكن يحصل ان يعددوا مساوئه . فما هي ؟

انه يثبت وجود اسرائيل ، يعترف بحقها في الحياة كسائر دول المنطقة ، يؤمن حدودها ، يفتح لها قناة السويس ، يمسخ قضية شعب فلسطين الى قضية لاجئين ، داعيا الى تسوية عادلة لها ، ينهي حالة الحرب ودعاوى الحرب بين الدول العربية واسرائيل ، يعني اعتراف الدول العربية باسرائيل اعترافا واقعيا de facto وربما اعترافا حقوقيا كاملا de jure ...

ويضاف **احيانا** : ان القرار السيء الصيت لا ينص على انسحاب اسرائيل من كل الاراضي المحتلة في ٥ حزيران ، بل فقط من اراض محتلة territories وليس the territories . تضاف هذه الاضافة من قبل اناس اكتشفوا انهم يمتلكون ناصية اللغة الانكليزية ، ويتخذون الراي العام شاهدا على اكتشافهم اللغوي البديهي : أفلا يعلم كل انسان تخطى المدرسة الابتدائية ان ال التعريف العربية تساوي les و le الفرنسية وتساوي the الانكليزية ! شخصيا ، اشك بهذا

التساوي ، رغم علم كل انسان (!؟) . ولكنني لن ادخل في المناقشة اللغوية ، ما دامت الايديولوجيا المقاومة ــ بوجه الاجمال ــ لا تبالي كثيرا بهذه النقطة : انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي ، او انسحابها من جميع الاراضي ناقص بضعة كيلومترات مربعة ، او انسحابها من ربع الاراضي فقط ، هذا ليس مهمًا . مسألة الانسحاب كلها ثانوية في نظر الايديولوجيين . الشيء الاساسي هو «الاعتراف بحق اسرائيل المزعوم في الحياة» ، و«انهاء حالة الحرب معها» . وبالتالي ، فان القرار السيء الصيت ينهي قضية فلسطين ، يلغي «تحرير فلسطين» . هذا هو شره الاكبر ، اكبر مساوئه . علينا اذن ان نركز نظرنا على هذا الشر الاكبر .

ولكن قبل ذلك ، لا بأس ان نعود الى نقطة البداية : سوء القرار بشكل عام .

يقولون : ان قرار مجلس الامن سيء . ونقول : انه اسوأ . بل لنذهب الى ما هو ابعد من ذلك . لنفترض انه ايضا اسوأ مما هو سيء وبعشر مرات . لنفترض انه لا ينص على انسحاب اسرائيل ، بل يعطيها «نهائيا» فلسطين وسيناء والجولان وقناة السويس وحوران .

ماذا نستنتج ؟

ــ الرفض !؟

هنا نقول : لا . من مساوىء قرار ما ، نحن لا نستنتج شيئا .

والا ، كان علينا ان نشجب موقف لينين في ظروف مشابهة . ان صلح برست ــ ليتوفسك في اوائل ١٩١٨ كان اكثر اجحافا من قرار مجلس الامن . ومع ذلك ، نحن

لا نشجب موقف لينين ، نؤيد موافقتـــه على الصلـــح الامبريالي الاسود ، نتعلم من كفاحه العنيد («اليومي») ضد رفاقه (اكثرية اللجنة المركزية البولشفية) من اجـل قبول هذا الصلح البالغ الاجحاف . لولا موقـــف لينين ، لغرقت روسيا السوفياتية في طوفان الجمل الثوريـــة لفرسان «اليسار» ، ولتغير مجرى التاريخ :

هناك فوارق كبيرة بين ١٩١٧ — ١٩١٨ و١٩٦٧ — ١٩٧٠ ، بين روسيا السوفياتية والعرب ، بين لينين وعبد الناصر الخ الخ ؟

نعم بالتأكيد .

ولكن هذا المثال اللينيني الشهير يفرض درسا خالدا في المنطق ، في منهج الفكر والعمل :

كما قلنا ، من سوء واجحاف واجرام ولصوصية قرار مجلس الامن لا نستنتج «الرفض» ، ولا يمكـن لثوري او لوطني او لرجل سياسة او لمقاتل ان يستنتج الرفض . ان هذه المقدمة — سوء القرار ، بله «سوء صيته» — غير كافية لهذه النتيجة : «الرفض» . النتيجة تتخطى المقدمة. هذا **اولا** .

وثانيا . نتعلم من لينين شباط ١٩١٨ نبذ الجمـــل «الثورية» ، رومانسية الفرسان الاطفال ، نبذ «اليسارية» مرض الطفولة في الثورية ، في السياسة . و«اليسارية» هي منهج التهور والتهوير .

ان الجناح «اليساري» من المقاومة يتصور انـــه «اليسار» في مواجهة غالبية المقاومة التي هي في نظـــره «يمين» ، ويتصور ان «اليسار» انما يحمل كل القاب النبل الثوري ولاسيما الايمان «بالطبقـــات وصراع الطبقات» . لينين في موقفه في شباط ١٩١٨ (وفي مواقـــف اخرى)

يبدد هذا الوهم . «اليسارية» او لنسمها اليسراوية، في العمل الثوري ، هي منهج التهور والتهوير . لينين يترك لشبان ١٩١٨ و١٩٢٠ لقب «اليسار» و«اليسارية» و«اليسراوية» ، غير آسف ، ويقف في «اقصى اليمين» .

نحن نقف في «اقصى اليمين» ، ونترك القاب «اليسراوية» لـ «الجميع» ، منظمات و ... انظمة .

وثالثا واخيرا . في اوائل ١٩١٨ ، كانت كل الرجعية الروسية – من الاحزاب البرجوازية الصغيرة الى جنرالات القيصر مرورا بالبرجوازيةالليبرالية – كانت تعول، في عدم عقد معاهدة الصلح مع الالمان ، على تهور الحزب الشيوعي الروسي وراء القادة «اليساريين» ، على «اليسار» و«اليسارية» و«اليسراوية». كل هذا اليمين الحقيقي تماما (او على الاقل قادته الاذكياء) كان يعول على هذا «اليسار». وهكذا يرى الرفاق ان هذا البند «الاخير» ليس الاخير من حيث الاهمية . كما يقول لينين بالانكليزية ، انه lost but not least . وبصدد موضوعنا الفلسطيني–العربي ، ان هذا البند الاخير يتصل بالمسألة المركزية (العلاقات بين المقاومة والانظمة العربية) التي تركناها ونتركها لحينها .

ان «موضوعة» «رفض» قرار مجلس الامن لا يمكن –منطقيا– ان تنبع من كون القرار مجحفا بحق فلسطين والعرب .

I I

ولكن ، كما سبق ان قلنا ، ان ايديولوجيا المقاومة

لا تستنتج موضوعة الرفض من عيوب القرار المذكور بشكل عام وحسب ، بل ايضا وبشكل خاص من عيب محدد في هذا القرار : انه ، على حد قولها ، يعني انهاء قضية فلسطين ، تصفيتها ، اقامة السلام بين الدول العربية واسرائيل ، انه القرار التصفوي بحكم التعريف .

وهنا ايضا نقول : قطعا ، هذا في مضمون القرار .

غير ان «رفض» قرار دولي او معاهدة او ما يشبه ذلكلان مضمونه او منطوقهاو نصه يصفي المسألة، ينهيها، يطوي صفحتها ، موقف معناه القفز من مضمون او منطوق او نص قرار او معاهدة الى التنفيذ ، ومعناه احلال منهج الغباء الحقوقي والديبلوماسي محل منهجالمعرفة والممارسة السياسية بله الثورية .

ان منهج الغباء الحقوقي والديبلوماسي هو المنهج الذي يؤمن بأن الحقوق والديبلوماسية هي التي تقرر مصير الكون . هذا الايمان لا صلة له بالتجربة التاريخية .

في عام ١٨٧١ ، سلمت فرنسا لالمانيا بالالزاس – لورين «نهائيا» (في طبيعة المعاهدات أن «تكون» نهائية ابدية خالدة !؟) . في ١٩١٨ ، بعد ٤٧ سنة ، عادت الالزاس – لورين الى فرنسا . حدث ذلك اثر حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ . والمانيا كانت هي التي باشرت بهذه الحرب الجديدة . (بخلاف الحرب السابقة !) .

في اعقاب الحرب السابقة (١٨٧٠) ، كانت القيادة الالمانية (القيادة العسكرية وليس وزير الخارجية او سفير المانيا في باريس) قد باشرت الاستعداد للحرب القادمة . وقد توالى ، خلال اربعين عاما ، ثلاثة اجيال من القادة العسكريين الالمان على وضع خطة الحرب القادمة ، وتعديلها

وتجديدها (وفق تطور الاسلحة ، وتبعا للظروف المتغيرة)، وأخيرا نفذوا ، في عام ١٩١٤ .

لننظر الان الى الجانب الفرنسي .

في ١٨٧٢ ، سئل غامبيتا Gambetta (الذي كان زعيم ورمز المقاومة الفرنسية بعد سقوط نابوليون الثالث) ، سئل : « والالزاس – لورين ؟» . فأجاب : «سنفكر بها دائما ، لن نتكلم عنها ابدا» . (نحن ، العرب، نتكلم عنها ، عن فلسطين ، دائما ...). وبالطبع، التسليم بالالزاس – لورين في ١٨٧١ كان بموجب المعاهدة «نهائيا» ، «تصفويا» . لقد خرجت الالزاس – لورين من خريطة فرنسا ، في الخرائط الالمانية والفرنسية سواء بسواء ، وفي الخرائط الروسية والاميركية واليابانية جميعا . (بالمقابل، ان الوطن العربي محافظ عليه جيدا على الخريطة ، ولعله آخذ في التوسع – على الخريطة) . في ١٨٩٣ ، عقدت فرنسا وروسيا معاهدة تحالف . كان الحلف ، في نظر كل ذكي وغبي ، موجها ضد المانيا ، وكان حلقة رئيسية في الطريق الطويل الى الحرب . ومع ذلك فقد نص ميثاق الحلف الفرنسي – الروسي على ان هدف الحلف هو صيانة الوضع الاقليمي القائم في اوروبا ، الامر الذي يعني ان فرنسا تؤكد تنازلها عن الالزاس – لورين «نهائيا» (مرة اخرى ، ومرات) .

وفي عام ١٩١٨ ، استرجعت فرنسا الالزاس–لورين. وفي ١٩١٤ ، كانت المانيا هي التي باشرت هذه الحرب (لا الحرب السابقة !) ...

اليكم مثالا اخر ، مثالا سوفياتيا بروليتاريا اشتراكيا .

في اعقاب الحرب الاهلية وضد قوات التدخل (١٩١٨ — ١٩٢١) ، حددت الحدود الغربية للاتحاد السوفياتي في معاهدات «نهائية» . هذه المعاهدات «النهائية» تركت شعوب البلطيق وقسما من شعب اوكرانيا ونصف شعب بيلوروسيا خارج الاتحاد السوفياتي (وخارج الخرائط السوفياتية) . في ١٩٣٩ — ١٩٤١ ، عادت هذه الاراضي والشعوب في الواقع ، وفي الخريطة السوفياتية، ثم في عام ١٩٤٥ في «القانون الدولي» والديبلوماسية الدولية (معاهدات يالطا ، بوتسدام ..) ، وفي كل خرائط العالم (١) .

اليكم مثالا اخر ، برجوازيا — اقطاعيا ...

في عام ١٨٠٧ ، ركع ملك وملكة ووزراء بروسيا امام نابوليون الاول ، وقّعوا على تمزيق بروسيا ، على تسليم نصف مملكة بروسيا للدول الالمانية التابعة لنابوليون، «نهائيا» ، «كرسوا» هيمنة فرنسا على المانيا «نهائيا» ... وقام الوزراء المصلحون (شتاين، غنايزناو ، شارنهوست) باصلاحات برجوازية جزئية ناقصة بدائية ، استعدوا (في حدود معاهدة السلام والاستسلام وبالتحايل عليها) وانتظروا ، وفي عام ١٨١٣ استأنفوا القتال ، والغوا نهائيا «نهائية» الامس القريب . هذا المثال البرجوازي — الاقطاعي — الملكي ، استشهد به لينين البروليتاري عشر مرات (على الاقل) ، ردده يوميا ، في مطاردته اليومية لمنطق رفاقه اليسراويين ابان ازمة الصلح مع الالمان في اوائل ١٩١٨ وبعدها .

---

(١) — عادت في الواقع اولا ، في الخريطة السوفياتية ثانيا ، في ... ثالثا ورابعا وخامسا ..

نستطيع ان نتابع هذه السلسلة الى ما لا نهاية .

ان منهج الغباء الديبلوماسي الذي يسيّر عقل «الثوار» العرب عموما يبدو ، ظاهرا ، كأنه نقيض الغباء البرلماني . بالحقيقة ، انه صنوه . او انه نقيضه **كما** ان كرسيا اسود **هو** نقيض كرسي ابيض !!

الغباء البرلماني – حسب تعريف انجلز – هو موقف النائب البرجوازي – الصغير في «جمعية متكلمي فرانكفورت» الذي يؤمن ان مصير العالم انما يتوقف على المناقشات الدائرة في هذا المجلس الذي يتشرف بعضويته، وان كل ما عداها – المعارك الحربية ، تطور الصناعة في بريطانيا ، انشاء سكك الحديد في فرنسا ، مطامع القيصرية الروسية في فارس او البلقان او الدانوب ، اكتشاف الذهب في كاليفورنيا واوستراليا ، الخ الخ – لا حول له ولا قوة في تقرير مستقبل البشر. والنائب المصاب بالغباء البرلماني يؤيد البرلمان والعمل البرلماني . اما «الثائر» العربي «المسلح بالسلاح وبسلاح الافكار الثورية» فهو **«يرفض»** (مع التشديد) الديبلوماسية والعمل الديبلوماسي (١) . غير أن رفضه ذاته هو تعبير عن ايمان

---

(١) – يمكن ان نقرن الغباء الديبلوماسي الرافضي بالاوتزوفية الروسية ، أي موقف اليسار البولشفي الذي كان يرفض العمل البرلماني (١٩٠٧ – ١٩١٢) . ولكن هناك فرق : الاوتزفيون لم يكونوا بوجه الاجمال يؤمنون بان الديموقراطية البرجوازية ستتحقق في روسيا بفضل البرلمان القيصري ومناقشاته . اما الرافضون العرب فهم يعتقدون ان الحل السلمي قادم بخفي جنين . ولئن كان لينين قد اسمى رفاقه الاوتزوفيين « مصفين بالعكس » (أي انهم يصفون الحزب هم ايضا وان بطريقة اخرى) ، فان اوتزوفيينا العرب يصفون القضية بكل الطرق .

عميق بالشيء المرفوض ، تعبير عن ايمان عميق بشأن الديبلوماسية تقرر مصير العالم ، وهذا الايمان منبع التشنج الرافضي .

والرافضي العربي يؤمن بأن الديبلوماسية هي الصدق .

في نظر عامة الناس ، الديبلوماسية هي الكذب . ولكن ، هنا ايضا ، الايديولوجيون الثائرون يخالفون عامة الناس (يحلقون فوق العامة) ويخالفون وقائع التاريخ .

في ٢٣ آب ١٩٣٩ ، عقدت المعاهدة الالمانية – السوفياتية المعروفة باتفاقية ريبنتروب – مولوتوف . سميت معاهدة عدم اعتداء . الغربيون يقولون انها معاهدة على تقاسم بولونيا ، على الحدود الجديدة في اوروبا الشرقية . على اي حال ، ان توقيع المعاهدة لم يتم بدون ان يرافق ذلك رفع الانخاب ، انخاب الصداقة (ربما الابدية !) بين الشعبين (وربما الدولتين) ، حسب العادة ، وبدون ان تصدر ، بعد ذلك ، في مناسبة الحرب العالمية المبتدئة (ايلول ١٩٣٩ – ١٩٤٠) ، تصريحات سوفياتية لصالح الالمان او على الاقل ضد صالح خصومهم الانكليز . وفي ايلول ١٩٣٩ وصيف ١٩٤٠ ، دفع الاتحاد السوفياتي حدوده نحو الغرب . يمكن القول : في ٢٣ آب ١٩٣٩ ، هتلر صافح ستالين ، ستالين صافح هتلر . وفي ٢١ حزيران ١٩٤١ ، اي بعد اقل من عامين ، بدأ هتلر ضد الاتحاد السوفياتي اكبر حرب في تاريخ البشرية ، حرب مئات الفرق ، حرب ابادة .

لو سئل احد «الثوار» الايديولوجيون العرب في ايلول ١٩٣٩ (ابان دخول القوات الالمانية ثم السوفياتية الى بولونيا)او عقب تصريحما لحسن الزيات(اقصد فياشسلاف

مولوتوف) عن السلام مع اسرائيل (اقصد عن الصداقة والاحترام المتبادل بين الاتحاد السوفياتي والمانيا) عن رأيه في الموقف ، لقال «الثائر» العربي : القضية واضحة ، موسكو وبرلين متفقتان ، هذا هو السلام الدائم .

غير ان آباءنا في ٢٣ آب ١٩٣٩ ، وفي مناسبات لاحقة كثيرة بين ايلول ١٩٣٩ وحزيران ١٩٤١ ، كانوا يقولون : هتلر يهيىء مقلبا لستالين ، وستالين يهيىء مقلبا لهتلر . ان يسراويينا الماركسويين العرب ليسوا فقط دون مستوى شتاين وشارنهوست ومولكه الاول والثاني وغامبيتا ، بل هم ايضا دون مستوى الناس البسطاء في بلادنا ، الناس الذين لا يوجهون دفة السياسة ولا يقودون ثورة ولكنهم لا يتنازلون عن العقل !

ولكن حتى لا نظلم احدا ، من المفيد ان نذكر ان خطأ تقدير الموقف عقب معاهدة ٢٣ آب ١٩٣٩ كان خطأ سقط فيه فعليا من هم ارقى من «ثوارنا» الكلاميين ، ارقى وعيا وكفاحا بكثير . قصدنا بعض الشيوعيين الفرنسيين، ونخص بالذكر راول كاتلا Catlas ، عضو اللجنة المركزية للحزب والذي سيسقط بعد قليل شهيدا على يد النازية .

يروي اوغست لوكور Le Cœur (١) ان رئيسه كاتلا حدثه في سنة ١٩٤٠ حديثا غريبا فلسف فيه الاتفاق السوفياتي — الالماني وانتهى فيه الى ان هذا الاتفاق الموجه ضد الراسمالية الغربية يفتح على «الصعيد الايديولوجي» (!)

---

(١) — لوكور كان في ١٩٤٠ مناضلا شيوعيا من الصف ، واصبح في ١٩٥٠ قائدا كبيرا والخليفة المرتقب لموريس توريز . في سنة ١٩٥٥ ، ارتد على الحزب ، ونشر مذكرات في صحيفة الاشتراكيين .

آفاق اللقاء بين الاشتراكية العلمية (الشيوعية) والاشتراكية القومية (النازية) . بعد قليل كان كاتـــلا في صفـــوف المقاومة الوطنية ، واعدم على يد النازيين .

نترك لخبراء الطبقات والطبقوية ان يبحثوا عن المنبع الاجتماعي والطبقي والاقتصادي لخطيئة كاتلا أو سواه ، ونكتفي بسؤال عن المصدر المعرفي للخطيئة : ان كاتلا ، على ما يبدو، قد قرأ جيدا تصريحات مولوتوف وريبنتروب، حفظها ، انطلق منها ، ونسي «كفاحي» لهتلر والماركسية والواقع .

وكذلك ايديولوجيونا الثائرون : قرؤوا حسن الزيات وزارمي وشيفر ونسوا هرزل وبن غوريون وغولدا مايـــر والماركسية والواقع .

III

ليس عبثا توقفنا عند المعاهدة السوفياتية — الالمانية لعام ١٩٣٩ . فالمقارنة بين **الصهيونية والنازية** باتت شيئا مألوفا في دعاية المقاومة الفلسطينية و«الثوار» العرب .

ولكن الامور تسير وكأن اصحاب المقارنة غير مؤمنين جديا بها ، كأنهم يوجهونها للرأي العام العالمي ، للاستهلاك الخارجي وحسب ، ولا يستنتجون منها شيئـا حقيقيا . انهم على ضلال.

صحيح ان اسرائيل لم تزج الفلسطينيين في افران غاز ، ولم تنشىء بوخنفالد واوشفيتز ومايدانك وبرجن — بلسن . لم تسحق نابلس كما سحق الالمان انتفاضة جيتو فارصوفيا . ولكن مجزرة دير ياسين تعادل تماما مجــزرة

ليديس واورادور ... والغاية تتعادل في الحالتين ، ومع الغاية خط الوسيلة الاساسي: المجال الحيوي Lebensraum لقد كان المخطط Ceneralplan Ost الموضوع من قبل دائرة أمن الرايش الالماني في خريف ١٩٤١ يقضي بنقل ٦٠٪ من البولونيين الى سيبيريا . اسرائيل حققت نقل ٦٠٪ من الشعب الفلسطيني الى سيبيريا العربية ، الى شرقي الاردن وما شابه . وذلك بحربين صغيرتين (١٩٤٨ ، ١٩٦٧) ، وبدون الكلامولوجيا الحربية ، بل مع كلامولوجيا سلمية .

ان دعاية اسرائيل واليسار الصهيوني المسالم تقوم على السلام : هدف اسرائيل هو السلام ، احترام الدول، التبادل التجاري والتعاون الاقتصادي لمصلحة الجميع(١).

ان امور اليسار العربي المحارب تسير وكأن هذا اليسار «قابض» هذه الدعاية ، بل كأنه يتخذ «موضوعتها» الاساسية قاعدة انطلاق لايديولوجيته كلها !

لقد بيّنا (٢) كيف تنقل الجبهة الديمقراطية الكتّاب الاسرائيليين اليساريين (زارحي ، شيفر) . والجبهة الديمقراطية منظمة صغيرة . ولكن وضع المقاومة الذهني ليس افضل كثيرا من وضع الجبهة المذكورة : ان الجبهة الديمقراطية لا تفعل سوى تنظير هذه العفوية الذهنية ودفعها الى امام ، اي الى الهوة التي تقف المقاومة عند حافتها .

---

(١) – زارحي ، شيفر ، اخرون ، مجلة الازمنة الحديثة ، العدد الخاص بالنزاع العربي الاسرائيلي والذي مهد تحضيره لعدوان حزيران ١٩٦٧ .

(١) – في الكتاب الاول من « نقد الفكر المقاوم » ، دار الحقيقة : كيف ينقل اليسار العربي المحارب اليسار الصهيوني المسالم .

هذا امر بالغ الخطورة . الاعتقاد بأن هم اسرائيل هو السلام والتعايش اعتقاد يناقض كل التجربة التاريخية وكل المعطيات العملية والنظرية .

والمقاومة الفلسطينية (والاشقاء العرب الذين احتضنوا ورعوا وركبوا خطها الخاطىء اساساً) تناقض نفسها بنفسها.

من جهة تقول : اسرائيل دولة توسعية ، اوجدها الاستعمار العالمي لكي تتوسع .

ومن جهة اخرى تؤمن فعلا (على ما يبدو) بان قضية فلسطين يمكن ان «تصفى» وأن السلام يمكن أن يقوم بين العرب واسرائيل .

من جهة تقول: فلسطين هي قلب الوطن العربي حاوي البترول ، وفلسطين منطقة مركزية او المنطقة المركزية في العالم ، تقع بين الغرب المستعمر والمتقدم وآفرو ـ آسيا المستعمرة المتخلفة، تقع على مقربة من الاتحاد السوفياتي، وهي مرتبطة ارتباطا جوهريا بالولايات المتحدة زعيمة الامبريالية العالمية الطامحة الى تخليد وتوسيع هيمنتها في العالم .

ومن جهة اخرى تؤمن بأن قرار مجلس الامن يمكن ان يصفي الصراع بين اسرائيل والعرب .

من جهة ، تستشهد بأقوال هرزل ووايزمان وبن غوريون الكلاسيكية (١) .

ومن جهة ثانية ، تصدق شيفر وزارحي والدجالين الصغار .

---

(١) ـ وفحواها ان الدولة اليهودية مخفر امامي للغرب ضد الشرق ، للحضارة ضد البربرية الخ. (للاستعمار ضد الشعوب) .

من جهة ، تذكر ان اسرائيل تعتدي على العرب كل عشر سنوات (١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧) .

ومن جهة ثانية ، تعتقد -على ما يبدو- ان العدوان الاخير (١٩٦٧) هو الاخير - الاخير .

من جهة ، تذكر (احيانا) ان اسرائيل هي التي تبدأ الحرب وهي التي تتوسع (١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧) .

ومن جهة ثانية ، تعتقد - وكل ايديولوجيتها التي غدت هي كل سلوكها تشهد بأنها تعتقد ان الحرب لن تحدث في يوم من الايام الا اذا نحن بدأناها، بل واذا نحن أعلنا من الان اننا سنبدأها (وان اسرائيل لن تبدأها بعد الان !)

نحن ، لاننا نؤيد البند الاول ، نعارض وندين البند الثاني :

لان الامبريالية هي الامبريالية ، والصهيونية هي الصهيونية ، ولأن الوطن العربي يشغل هذا المكان في خريطة العالم ويحوي هذا البترول ، ولأن فلسطين تشغل هذا المكان من الوطن العربي ومن العالم ، لان اسرائيل تكثيف لهذه المعطيات الايديولوجية والسياسية و«الجغرافية» ، لذلك فان قضية فلسطين لا يمكن ان تصفى .

ان المقاومة الفلسطينية الراهنة يمكن ان تصفى (وستصفى قطعا كمقاومة اذا لم تستأصل وفورا السرطان الايديولوجي) ، ان فلسطين يمكن ان تبلع ومعها اقاليم اخرى ، ويمكن ان يدخل شعب فلسطين - لاول مرة منذ بداية الصراع التاريخي المديد - في طريق التشتت والتبدد والذوبان (هذا يتوقف اولا على المقاومة وعلى الفلسطينيين وقدرتهم او عجزهم عن تصحيح العلاقات مع ما هو خارجهم ، وبالدرجة الاولى مع الانظمة ، على قدرتهم او

عجزهم عن تمييز الاقوال والافعال لدى الاشقاء العرب، الخ).
ولكن قضية فلسطين لا يمكن ان تصفى ، لان الصراع بين الامة العربية والصهيونية ـ الامبريالية لا يمكن ان يصفى، لان قضية الشرق الاوسط هذه لا يمكن ان تصفى (حتى اذا حلّت ما يسمى اليوم ديبلوماسيا وحقوقيا بقضية الشرق الاوسط) .

ولكن تجري امور الفكر المقاوم الفلسطيني ـ العربي وكأنه يرى النوايا السلمية الخبيثة للعرب (لمصر) واصدقائهم (الاتحاد السوفياتي) ولا يرى المخططات الناصعة، التوسعية والحربية ، لاعدائهم (الصهيونيين ، الاميركان) . هكذا مثلا ـ كما ذكرنا في مكان سابق ـ منيف الرزاز صعّد قضية فلسطين ثلاث مرات (١) . «الرفاق» ـ عربا وفلسطينيين ـ

(١) ـ وفي تلك الفترة (١٩٦٥) ، اكتشف خالد بكداش في مكامن ذاته ذاتا فلسطينية . اصدر باسم حزبه بيانا ايد فيه خط المزاودة على القاهرة . (صحف الحزب الشيوعي اللبناني امتنعت عن نشره ـ كانت آنذاك مع القاهرة ـ . فنشرته صحيفة « الى الامام ») . في شباط ١٩٧٠ ، منحت « نضال الشعب » (لسان الحزب الشيوعي السوري) شهادة الماركسية ـ اللينينية للجبهة الشعبية الديموقراطية (ولم تر ذرة من المناهضة للسوفيات antisoviétisme في مواقف الرفاق الجدد) . في تشرين الاول ١٩٧٠ ، حيث « نضال الشعب » رفاقها اعضاء الحزب الشيوعي السوري المقاتلين في الجبهة الشعبية والجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين او شرقي الاردن .

بين الموعدين ، في ١٩٧٠ ايضا ، صدر العدد الاول من مجلة « طريق الثورة » لسان الحزب الذي شكلته الجبهة الشعبية . في هذا العدد : شهادة جورج حبش وهاشم علي محسن ورفاقهما بأن البكداشيين واقرانهم هم ممثلو الطبقة العاملة العربية ، وبالمقابل عملية ابتزاز رخيص تجاه الاتحاد السوفياتي ، تحت ستار الرد على الصحفي السوفياتي بريماكوف (الذي لا يمثل رأي حكومته ولكن

خافوا (على ما يبدو) من موت القضية فصعّدوها ، اثر تصريحات بورقيبة السلمية لعام ١٩٦٥ – هذا ما اعلمه من المصدرين (العربي والفلسطيني) ، وهذا ما يعلمه الجمهور العربي بدون مصادر خاصة – . والحال ، ان التصعيد كان نافلا ، زائدا عن اللزوم . اذ كما تقول المقاومة الفلسطينية (احيانا) : دورة اسرائيل العدوانية هي حوالي عشر سنوات. في ١٩٦٥ كنا في السنة التاسعة . ما كنا بحاجة الى تصريحات بورقيبة السلمية ، والى التصريحات الحربية «للثوار» الذين كأنوا وكأنهم على موعد مع نصير السلام التونسي .

واخيرا – ولعل هذا يخرجنا من عالم التناقض ويضعنا في عالم الانسجام والتناسق – ، ان المقاومة الفلسطينية الايديولوجية تعتقد أن الذي سيحرر او سوف يحرر فلسطين في يوم من الايام هو من يقول –يوميا– انه سيحرر فلسطين . وكما يرى القارىء ، الانسجام والتناسق والاتساق محقق هنا على اساس اخذ الاقوال كليا وطرد الاعمال كليا !

I V

ان السلام بين العرب واسرائيل مستحيل .

اذا كان يمثل ف..... ؟!!) . جوهر مقال بريماكوف او نتيجته العملية التحذير من سقطة شرق اردنية كبيرة على اثر احدى السقطات الصغيرة . مجلة حزب جورج حبش ، استشهدت ، في مقالها ، بصحيفة الحزب الشيوعي الاردني ضد الصحفي السوفياتي الشهير الذي لا يمثل رأي حكومته !!

تلك هي التجربة التاريخية . ذلك هو تعريف الصهيونية، تعريفها على يد هرزل ، وايزمان ، بن غوريون، ماير ، دايان ، آلون . ذلك هو تعريف الامبريالية، على يد لينين والماركسيين ، وايضا على يد ترومان ونيكسون .

لقد حدثت حتى الان ثلاث حروب بين اسرائيل والعرب : حرب اولى بين اسرائيل والدول العربية (بما فيها مصر فاروق) ، حرب ثانية بين اسرائيل ومصر عبد الناصر ، وحرب ثالثة بين اسرائيل وثلاث دول عربية أولها وأهمها مصر عبد الناصر .

وستحدث حروب اخرى بين اسرائيل والعرب ، بين العرب واسرائيل ، (وستكون هذه الحروب من الجانب العربي بزعامة مصر) ، حروب يتخللها – كما في الماضي – سلام يدوم عشر سنوات او اقل او اكثر ، او نصف سلام (كما هي الحال بين ١٩٦٧ و١٩٧٠) ، او سلام مضاعف .

ان احدى اخطر عواقب ايديولوجيا المقاومةالفلسطينية ان هذه الايديولوجيا – غير الاصيلة – تسير (رغم حسن النوايا) في اتجاه اضعاف هذه العقيدة الاساسية للشعب العربي .

ولكن ما هي **احتمالات الحل السلمي او السياسي** ؟

هنا ايضا ، يجب ان نحدد وان نميز ما هو المقصود بـ «الحل السلمي» .

اذا كان المقصود بالحل السلمي تنفيذ قرار مجلس الامن بما فيه انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة في حرب حزيران ١٩٦٧ ، نتيجة مساعي يارنغ وموافقة مصر والاتحاد السوفياتي ... ، فان هذا الاحتمال صغير جدا نقدره بـ ١٪ (واحد بالمئة) . واذا كان المقصود تنفيذ قرار

مجلس الامن، بما فيه ايضا «الحل العادل لقضية اللاجئين» ـ الامر الذي يعني (اذا كان للكلام معنى واذا كان لقرارات سابقة لهيئة الامم معنى واذا كان للقرار الصادر في تشرين ١٩٧٠ معنى) حق اللاجئين في العودة ـ فان هذا الاحتمال يصبح اصغر، نقدره ب ١ .٠٪ (واحد بالالف) .

اذا كان المقصود بالحل السلمي ان يهزم العرب من جديد نتيجة الغباء والانقسام واللعب، وان ينفذ ما هو اسوأ بقدر لا بأس به من قرار مجلس الامن السيء، فان الاحتمال اكبر قطعا من ١٪ . ان ما منع ويمنع هذا الاحتمال من الارتفاع الى ٩٠٪ هو ان مصر الثورة بلغت سن الرشد. لا ريب انه لو رضخ عبد الناصر في تموز ١٩٦٧ـ١٩٦٨ ... للانفعال ولابتزاز طائفة من المقالات «اليسارية» و«التحريرية الشعبية» و«العربية الثوروية» (و«الثوروية الاسلامية السعودية» ! (١)) التي صدرت في القاهرة آنذاك (وفي العواصم العربية من الخليج الى المحيط)، لو استلهم انتقادات فيديل كاسترو ونصائحه (٢) كما قرأناها في

---

(١) ـ كتابات جلال كشك ..

(١) ـ تحوي النصائح : استدراج العدو الى وادي النيل . ترى هل كان سيستدرج، وسيمكث ! ام انه يأتي، يضرب، يفرض شروطه، ويعود، مثلا الى قناة السويس، ولكن ربما في الضفتين .

منذ آنذاك الى الآن، اعتدلت الامور . نقصد امور نظرية البؤر الثورية . الاحزاب الشيوعية في اميركا اللاتينية التي كانت قد كفرت عن اوهامها البرلمانية ببداية رضوخ للابتزاز البؤري عادت الى البحث عن طريق لا يحصرها في هذه الثنائية . ومرحى لرئيس جمهورية شيلي الجديد، وللحكم العسكري الوطني في بلد مجاور، ايا كانت التطورات المقبلة . ومرحى لتراجع ريجي دوبري ايا كان مقداره . النظرية البؤرية والطريق البرلماني وجهان لعملة واحدة : عقم الماركسيين وهروبهم من اللينينية، من الواقع، من الجماهير الواقعية .

«الى الامام» و«الحرية» الخ آنذاك ، لكان الحل السلمي ـ بهذا المعنى ـ قد تحقق آنذاك في القاهرة وفي كل العواصم العربية من الخليج الى المحيط .

ولكن لنحصر نظرنا في المعنى الاول ، وهو الاكثر تداولا ، رغم ان الكلامولوجيا اليسارية لا تخرج هنا ايضا من الاختلاط .

ان احتمال تنفيذ قرار مجلس الامن ـ اي انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة في حزيران ١٩٦٧ وايجاد «حل عادل» لقضية اللاجئين ، مقابل انهاء حالة الحرب والسلام والمرور ـ احتمال قريب من الصفر . لماذا ؟

هل لان المقاومة الفلسطينية تمنع ذلك ؟ هل لان «الجماهير العربية المساندة للمقاومة» تمنع ذلك ؟

الجواب عند باهي محمد واقوال قادة المقاومة لباهي محمد ، حول وضع المقاومة ، والعلاقة بين الجماهير العربية والمقاومة .

في نفس قادة المقاومة وصحفييها ، في تصريحاتهم الشفوية ، في تلميحاتهم الكتابية ، ان اميركا والاتحاد السوفياتي واسرائيل ومصر والملك حسين متفقون على الحل السلمي .

ترى هل يؤمنون انهم هم الذين منعوا ويمنعون تحقق هذا الحل ؟ هل يؤمنون بذلك بعد ايلول ١٩٧٠ ؟

على حد علمي ، هناك بينهم من يعرف عكس ذلك ، قبل ايلول ١٩٧٠ .

على حد علمي ، ان كاريكاتور «الهدف» (١) لم تكن

---

(١) ـ كاريكاتور تمثل اجتماعا للحكام العرب وغولدا ماير والاميركان ، ورئيس الجوقة هو عبد الناصر . طبعت هذه الكاريكاتور وسحبت مساء يوم وفاة عبد الناصر .

الا «للاستهلاك» ، لم تكن الا اكذوبة اطلقها اصحابها دون ايمان بها واضطروا الى سحبها وانكارها .

لماذا لا ينفذ قرار مجلس الامن ، القـــرار السيء ، البالغ السوء ؟ لماذا لم يباشر التنفيذ ، بعد مضي نيـــف وثلاث سنوات على صدوره وعلى انطلاق ايديولوجيا الغباء الديبلوماسي للمقاومة الفلسطينية وطلائعها اليسراويـــة والانظمة التي تحتضن هذه الايديولوجيا وممثليها ، جملة وبالتوزع ؟

لان الوضع العربي اسوأ من قرار مجلس الامن .

لان قرار مجلس الامن افضل بقدر لا بأس به مـــن الوضع العربي .

لان القرار السيء جيد بالمقارنة مع الوضع العربي .

لعل (١) المقاومة تعتقد العكس . لعلهـــا تتصور ان الوضع العربي جيد . او على الاقل ، لعلها تتصور أن قرار مجلس الامن السيء الصيت جاء تعبيرا عن ميزان القـوى الاسرائيلي ـ العربي .

ذلك اعتقاد خاطىء . ان قرار مجلس الامن لم يكـن نتيجة ميزان القوى العربي ـ الاسرائيلي . كان نتاج عوامل اخرى ، دولية ـ الاتحاد السوفياتـــي ، غضب فرنسا ، تململ بريطانيا ، الراي العام الآسيوي ـ الافريقي والعالمي ـ وكان موقفا اميركيا متخذا لاغراض اخـــرى غير التنفيذ ، وفي راس هذه الاغراض : الايديولوجيا المقاومة وتعزيـــز الغباء الحقوقي والديبلوماسي والاخلاقي والكلامي عنـــد العرب .

---

(١) ـ لا ادري . فالايديولوجيا المقاومة ، رغم انها تطارد يوميا القـــرار «الرجيم» ، الا انها لا تدخل في «التفاصيل» .

ولاول مرة في تاريخ العرب الحديث ، كان هناك من يضرب هذا الغباء : جمال عبد الناصر .

ماذا كسبت مصر من موافقتها على قرار مجلس الامن؟

اولا ماذا خسرت ؟

خسرت «الرأي العام العربي» المزعوم ؟

بالضبط ، لقد صفعت مصر الديماغوجيا العربية الفلسطينية ، «خسرت» هذه الديماغوجيا نهائيا ، وكسبت الجماهير ووعيها .

وكسبت مصر وحدتها الوطنية . بدلا من الانقسام الايديولوجي الاسطوري (١) حول «تحرير فلسطين» و«عدم تحرير فلسطين»، حول مناطحة اميركا وعدم مناطحة اميركا ، الوحدة على مواجهة الوضع الفعلي ، الوحدة على المهمة القائمة في عالم الواقع ، لا في مملكة الاوهام ، الوحدة على وجوب رد الاحتلال عن ارض مصر ، عن القنال ، عن سيناء ، عن الاراضي العربية التي احتلت اثر عدوان ١٩٦٧ ، ولهذا الغرض بناء القوة العسكرية القادرة على التحرير . وكسبت تمتين العلاقات مع الاتحاد السوفياتي باعتبار أن هذا التمتين شرط لا غنى عنه اطلاقا لهذا البناء .

ان الوضع العربي اسوأ من قرار مجلس الامن . والعرب لا يملكون -حتى هذه اللحظة- ان يفرضوا تنفيذه.

وتجري امور الايديولوجيا المقاومة - التي غدت في النصف الثاني من ١٩٧٠ هي سلوك المقاومة : مناطحة القاهرة ! - وكأن الايديولوجيين مدركون -اصلا- ان

---

(١) - هذا الانقسام = تمزق !

الوضع العربي لا يزال اسوأ من قرار مجلس الامن، ويخشون قدوم اللحظة التي يصبح فيها العرب قادريـن على فرض تنفيذ القرار . وكأن تنفيذ القرار هو المصيبة الكبرى . ما دامت مصر ضعيفة ، وما دام الردح العربي قائما على قدم وساق ضد مصر ، تبقى الدنيا متمحورة حول الـــذات المقاومة ، الدنيا الوهمية . في الدنيا الواقعية ، الشــيء الوحيد الذي كان متمحورا حول الذات المقاومة هو الردح العربي والعالمي «الثائر» .

ان تنفيذ قرار مجلس الامن ليس المصيبة الكبرى . انه شيء بالغ الايجابية .

ان ينفذ قرار مجلس الامن هذا احتمال صغير جدا: ١٪ او اقل . غير ان صغر الاحتمال لا يعني سوء الاحتمال. وعبد الناصر حين ايد القرار لم يكن يجهل لا هذه النقطـة ولا تلك . ان موافقة مصر على قرار مجلس الامن — وعلى مقترحات الاميركي روجرز الخ — تاكتيك . ولكنه تاكتيك بالغ الجد .

ان طريق الديبلوماسية والسياسة و«الحل السلمي» ليس الا دربا صغيرا ، ضيقا . ولكـــن الدرب الكبير ، العريض ، لا وجود له بدون هذا الدرب الصغير ، الضيق. في واقع القوى العربي والعالمي . وفي الممارسة الواقعيـة للدول العربية : من لا يطرق الباب الضيق ، لا يطرق اي باب ، ومن طرق الباب الضيق ، هو الذي طرق البـــاب العريض .

هل ننتظر من المقاومة ان تفهم هذا «الديالكتيك» ، الحقيقي ، الواقعي ، هذا الجدل المرئي ، المنظور لكل ذي عين ؟ على المقاومة ـــ قبل ذلك ـــ ان تبدأ من الالفباء، والفباء السياسة (بله الثورة) تمييز الاقوال والافعال ..

يتساءل باهي محمد في عنوان مقاله : هل المقاومة الفلسطينية افراز للواقع العربي ام تخط له ؟

وجوابنا : ان الايديولوجيا المقاومة قد تخطت الواقع العربي ، والذهن العربي «الثوروي» ، نحو الاسوأ ، نحو مزيد من الانفصال بين الاقوال والاعمال ، نحو مزيد من اخذ الاقوال على انها هي الاعمال (في الحكم على القوى الكبرى في الساحة العربية) ، نحو مزيد من «الكلامية» ، نحو مزيد في قصور الرؤية ، نحو مزيد من الافتقار الى المنظار والى المجهر والى ما بينهما .

لو سألت «الرفاق» الثوار اواخر ١٩٤٧ (١) : ما هي اكبر مصيبة يمكن ان تصيب العرب خلال عام ١٩٤٨ ؟ لاجابوك بلا تردد : تنفيذ قرار تقسيم فلسطين . والحال، في ١٩٤٨ ، قسمت فلسطين ونيّف . قامت دولة اسرائيل وتوسعت، لم تقم الدولة العربية ، طردت اسرائيل ما يقرب من مليون عربي ، وجلبت (في غضون ثلاث سنوات) ما يقرب من مليون يهودي ، تكونت اسرائيل في هذا الشكل ، في هذا المضمون ، في هذا الزخم .

لو سألت «الرفاق» في ليلة راس السنة ١٩٦٦ - ١٩٦٧، ما هي اكبر مصيبة يمكن ان تصيب العرب في ١٩٦٧؟ لاجابوك بلا تردد ان اكبر مصيبة يمكن ان تصيب فلسطين والعرب والثورة العربية والعالمية (هذا «تقدم» !) في ١٩٦٧ هي ان لا نحرر فلسطين ، ان لم يكن في ثلاثة ايام فعلى الاقل في ثلاث سنوات .

حدث العكس في ثلاثة ايام (فلسطين ، سيناء ،

---

(١) لو كان « الرفاق » موجودين آنذاك . او لو سألت عامة الشباب العربي آنذاك .

الطيران المصري ، الجبهة السورية) ... ولكن انطلقت (!) «حرب التحرير الشعبية» !!!

كذلك بعد حزيران ١٩٦٧ . لو سألت عامة الشباب المقاوم العربي والفلسطيني ، في عام ١٩٦٨ : ما هي اكبر مصيبة يمكن ان تصيبنا ؟ لاجابوك : تنفيذ القرار السيء الصيت . هذا واقع جوابهم ، واقعه «اليومي» . «يوميا»، قرعوا الناقوس ، ناقوس هذا الخطر . وفي كل مرة ، من شهر الى اخر ، من سنة الى اخرى ، احالونا الى «الربيع القادم» . متى سينفذ القرار الرجيم ؟ — «غدا» ، ونحن باقون عند كلامنا !

ان شباب ١٩٤٧ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٠ قوم متشائمون. الدنيا سوداء في عيونهم . ولكن ، ونقولها بصراحة ، ليست سوداء بشكل كاف . ان تشاؤمهم ذاته قاصر عن سواد الواقع ، ان تشاؤمهم قاصر من حيث هو تشاؤم . وقصور التشاؤم ليس الا وجهاً فرعيا لقصور الرؤية ، لقصور البصر والبصيرة .

ان الغباء البرلماني الجديد — الغباء الديبلوماسي — هو موقف اولئك الذين لا يرون — في جملةما لا يرون — خروج ٣٠٠ — ٤٠٠ الف عربي من الضفة الغربية وغزة ، ضم القدس العربية ، اقامة المزارع العسكرية والجماعية في الضفة الغربية ، في الجولان ، في سيناء ، والاثر الوخيم الذي آلت اليه تطبيقات الايديولوجيا المقاومة في النصف الثاني من عام ١٩٧٠ .

V

ولكن : وتحرير فلسطين ؟ هب ان الاحتمال الصغير

ـ تنفيذ قرار مجلس الامن ـ تحقق ، وان قوات دولية كبيرة جاءت لتأمين الحدود . كيف سنحرر فلسطين ؟

على هذا الكلام ، اجيب :

لنفترض ان تنفيذ قرار مجلس الامن قد تحقق ، ولنفترض ايضا اننا اصبحنا دولة عربية واحدة اشتراكية على غرار الصين الشعبية . في هذه الحال ، سينقضي ٢١ عاما قبل ان نبدأ بمهمة التحرير . ٢١ عاما هي (بالاذن منكم) المدة التي انقضت منذ احتلال الاميركيين لفورموزة .

هذا بالطبع ليس الا افتراضاً ، افتراضا يتصل باحتمال الواحد بالمئة . وتمييز احتمال الـ ١٪ (الحل السلمي) واحتمال الـ ٩٩٪ (الحرب) تمييز ضروري ولكنه نظري . الطريق العملي ليس اختيارا بين هذه الثنائية النظرية .

وتأجيلنا شعار تدمير اسرائيل وتحرير فلسطين الى ما بعد صيرورتنا دولة عربية واحدة اشتراكية على غرار الصين الشعبية بواحد وعشرين عاما هو ايضا موقف نظري ، وجزئيا خيالي (وجهه الواقعي الجوهري اننا لن نكون في وضع هجوم الا بعد مضي مدة طويلة ومليئة بالتغيرات) .

واقعيا وعمليا ، الصراع ـ وبالتالي وايضا العنف ، الحرب ـ تفرضه اسرائيل نفسها ، تفرضه الصهيونية والامبريالية الاميركية .

بيد ان الغباء الديبلوماسي ، المسلح بالسلاح وبسلاح الافكار الوهمية شائلة او محوّلة السلاح ، يعتقد ان الحرب لا تكون حربا الا اذا كانت حربا من اجل «تدمير دولة اسرائيل» ، وان استعداد الشعب العربي للحرب ـ اقتناعه الراسخ بالحرب ، قدرته على الصمود في الحرب حاملة

الدمار والحرمان والموت — لا يكون استعدادا للحرب ، الا اذا كانت الحرب من اجل «تحرير فلسطين» ، وأن شعبنا لن يصمد في الحرب الا اذا كنا نخوض الحرب من اجل هذا الهدف المعلن العظيم . اما اذا كنا نخوض الحرب لان الحرب مفروضة علينا فرضا من قبل العدو (على المدى القصير والطويل) ، فاننا عندئذ سنهرب ، سنسلم ، سننهار .

اولئك لا يعرفون الحرب . ولا يعرفون الشعب . في نظر بعضهم ، الحرب هواية للشعوب . وفي نظر البعض الاخر ، الحرب هي «حالة الحرب القانونية» المعززة بحرب التحرير الشعبية الاذاعية . وتلك الهواية تغطي هذه المصلحة .

انهم — بين جملة اشياء — لا يرون ان شعار «السلام» كان طيلة عشرين عاماً في ايدي اسرائيل سلاحا عالميا واسرائيليا وعربيا (١) . وان جمال عبد الناصر انتزع هذا السلاح من ايدي العدو ، وجعله سلاحا بأيدي مصر والعرب ، عالميا وعربيا واسرائيليا .

السلام ! السلام ! السلام !

الناصريون الذين يتصورون ان هذا « السلام » تاكتيك من عبد الناصر والسادات ، نريد ان نقول لهم انه تاكتيك بالغ الجد (فوق كونه هدفا للعرب ، للشعوب ، للانسان) . الناصريون — سواء كانوا فلسطينيين او ليبيين

---

(١) — سلاحا يساعدها على كسب الرأي العام الدولي وتغطية حقيقتها وحقيقة اسيادها ، وعلى الحد من صداقة اصدقائنا ، ويساعدها على تعزيز وحدة شعبها وعدوانيته ، وتساعدها على تضليل شعبنا وابعاده عن واقعه الصراعي الفعلي وعن تجارب التاريخ .

او لبنانيين او سوريين او تشاديين — الذين يتصورون أن هذا « السلام » موجه للعالم الخارجي ، للرأي العـــام العالمي وحسب ، نريد ان نقول لهم انهم مخطئون .

هذا السلام موجه للرأي العام العالمـــي (للاصدقاء ، لكل الاصدقاء ، للمترددين ، للاعداء ، للشعوب ، للدول ، للامم ، للكادحين ، للمثقفين ، للرجال ، للنساء) ، وموجه لشعب العدو (للشعب العدو) (١) ، وموجـــــه للشعب العربي .

بل نقول : انه بالدرجة الاولى موجه للشعب العربي.

فقد آن الاوان للخروج من خداع الذات ، الذي هو خداع العدو للذات . آن الاوان للخروج من الازدواجية ، من الفصام . اسرائيل لا تريد السلام ، الولايات المتحدة لا تريد السلام . اسرائيل الاميركية ، اميركـا الاسرائيلية ، تريد — في احسن احتمال — هدنة بشروطهما ، بانتظـار عدوان جديد وتوسع جديد (مثلها في ذلك مثل المانيـــا النازية) . ولكنها لا تريد السلام. انها عدوة السلام، عدوة

---

(١) — من الغريب ان الرفاق الاغبياء (بغض النظر عن النوايا) يتصورون أن الثرثرة عن ما تزين وعن « الجماهير الكادحة اليهودية » او عن حرب التحرير الشعبية وعن دولة فلسطين الديموقراطية (التي ستقام بعد تدمير اسرائيل) ، ستحقق شيئا داخل اسرائيل ومجتمعهـا اليهودي المتلاحـم . والحال ، اذا كان يمكن أن نأمل (يوما مـا) بحدوث ادنى ارتجاج حقيقي داخـل المجتمع الاسرائيلي ، فـان املنا (الصغير) لا يمكن ان يكون الا على هذا الاساس : اسرائيل — الدولة — المجتمع هي التي تبغي التوسع والعدوان ، تلك طبيعتها ، هي التي تفرض الحرب . واملنا الصغير يمكن ان يتحقق كشيء صغير وربمـا ان يكبر اذا جاء الصمود العربي في حرب الاستنزاف (وحجـم الخسائر البشرية اليهودية) مساعدا للسلام العربي !

نضع هذه الملاحظـة — عن اسرائيل — في الهامش . ونترك متن النص للحديث عن شعبنـا .

اعظم مثل انسانية ، عدوة الحياة الطبيعية للشعوب . منشؤها العدوان والتوسع ، طبيعتها العدوان والتوسع ، خطها العدوان والتوسع ، موقفها الراهن العدوان والتوسع (١) . انها تفرض الحرب حربا . وتفرض الحرب فرضا لا على الفلسطينيين وحدهم، بل على العرب جميعا، على سكان المنطقة .

وعلى سكان المنطقة ان يدافعوا عن وجودهم . كل **السياسة** المصرية (وليس فقط الديبلوماسية المصرية) تذهب في هذا الاتجاه . لان هذا الاتجاه ، على صعيد الشعب المصري والشعوب الشقيقة ، شرط لا غنى عنه لولوج «درب الآلام» ، للصعود الشاق الى النصر .

الذين «يقاتلون» ضد هذه السياسة ـ الواقعية وحدها ، الشعبية وحدها ، الثورية وحدها ـ ، الذين يمتهنون في مجالسهم الشخصية وخطبهم العامة «ضعف» عبد الناصر و«تراجع» عبد الناصر والسلام الناصري ، هم الذين لا يريدون ان يلجوا وان تلج شعوبهم الطريق الشاق، طريق الجوع والدمار والموت (٢) ، الطريق الذي بدونه لا

---

(١) ـ في ايديولوجيا المقاومة و «الثوار» العرب عموما : ان الصيغة الاولى (المنشأ) تغني عن الصيغ التالية، او ان الصيغ التالية تنبع استنتاجا من الاولى او من الاولى والثانية ، او ان التسلسل الوارد في متن النص هو التسلسل الوحيد المقبول ولا يجوز ثوريا او عروبيا سلوك الطريق المعاكس ، ويجب ان يغرق العدوان الاسرائيلي على الدول العربية لعام ١٩٦٧ دائما في مفهوم العدوان الصهيوني الاصلي او الصهيوني الامبريالي العام . بهذا المنطق المثالي ، يريدون ان يتعامل العرب مع الواقع ، مع الدول ، مع الشعوب ، مع البشر، مع شعب العدو، مع انفسهم .

(١) ـ موت الملايين من البشر اولئك الذين يحبون كلمة « التضحيات » ، نحب ان نعرفهم على الشيء : في حرب ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ، بلغ تعداد القتلى ٢٠ مليون سوفياتيا و٥ مليون بولونيا و ٢ مليون يوغوسلافيا

امل في تحرير فلسطين ولا امل في استقلال وتقدم وبقاء امة العزب .

السلام ، السلام ، السلام ، السلام .

حين يسمع الرفاق الحربجيون هذا الشعار من اذاعة القاهرة ، فانهم يفكرون : السلام (المصيبة الكبرى) بات وشيكا ، صحيح اننا استعجلنا في اواخر ١٩٦٧ ، في ١٩٦٨ ، في ١٩٦٩ ، في ٢٢ تموز ١٩٧٠ ، في ايلول ١٩٧٠ ، ولكن خطأنا كان في الإستعجال فقط ، اما الان ، فالمصيبة على الابواب .

حين نحن نسمع هذا الشعار ، فاننا نفكر ونقول : الحرب باتت اقرب . انها احتمال ٩٩٫٥٪ . لان اسرائيل (واميركا من ورائها) تتعنت وتستفشر . ولأن تعنت واستفشار اسرائيل معناه ، ان تحقق احتمال النصف بالمئة سيكون فشلا لها ونصرا للعرب ولفلسطين .

والعجلة من الشيطان والتأني من الرحمن .

لقد عاش الشعب العربي — او عُيِّش — عشرين عاما على «تحرير فلسطين» والهجوم لتحرير فلسطين . هل تعتقدون ايها الرفاق ان النتائج — المادية (العسكرية وغيرها) والنفسية — مشجعة ؟

أن يعيش شعبنا بضع سنوات على **حقيقة** ان الحرب

الخ.. ولكن لعله يجب ان نعرفهم ايضا على الشيء الذي يدعى « مليون » . ولكن ليس لدينا ما يكفي من حبات الفاصوليا ، او من حزم العشرات، او مجموعات المئة او الالف . في جميع الحالات ، عليهم ان يذهبوا الى المدرسة الابتدائية ، وان يقرؤوا زهير بن ابي سلمى . بعد زهير سيتدرجون الى العصور الحديثة وصولا الى الحرب المعاصرة .

تفرضها اسرائيل ليس كثيرا . بذلك ستكون الجولة القادمة افضل :

تلك مسؤولية المسؤولين .

والمقاومة الفلسطينية مسؤولة . عربيا . وفلسطينيا.

المقاومة الفلسطينية طاردتَ خطر «السلام» ؟؟

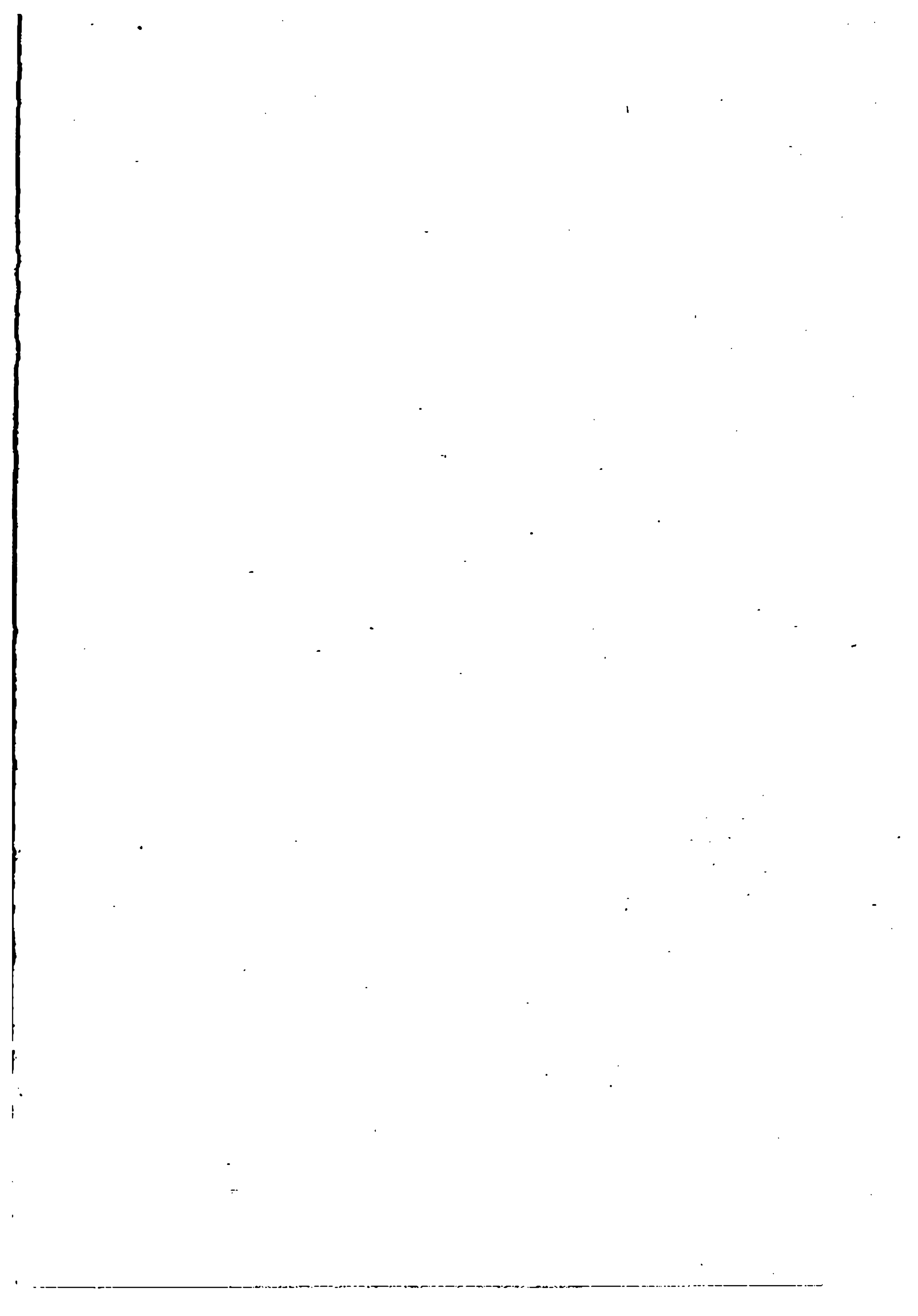
— بالحقيقة ، ان **شبح** «السلام» هو الذي طـــارد المقاومة الفلسطينية ! ودفعها الى كوارث عام ١٩٧٠ .

وأول واجباتهـــا ان تطرد الشبـــح من البيت «المسكون» (١) .

---

(١) — « ان احداث ايلول ١٩٧٠ في الاردن جاءت نتيجة التشنجات التي واجهت بهـا المقاومة قبول مصر المبادرة الاميركية المتمثلة بمشروع روجرز » . (من خطاب ابراهيم بكر ، الناطق بلسان اللجنة المركزية للمقاومة ، في جلسة المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في ١ — ٢ — ١٩٧١)

— لا هذا المشروع ولا هذا القبول كان ابن اللحظة . ولا هـــذه التشنجات ! هذه التشنجات نابعة من الايديولوجيا كلها، من التركيبة الذهنية والشعارية والاعلامية كلها . بل نتساءل ويجب ان تتساءلوا معنا (والجماهير الشعبية تتساءل) : الى اي مدى يجوز او لا يجوز ان تقلب الفكرة البسيطة الناصعة فنقول : الايديولوجيا كلها ، التركيبة الذهنية والشعارية والاعلامية كلها موجودة من اجل هذه « التشنجات » ؟



- ٤ -

العلاقات العربية للمقاومة ،
الثورة الفلسطينية خارج فلسطين .
الخلاصة

I

حين يحلق المرء في سماء الايديولوجيا والمثل والاوهام ، حين ينطلق من ذاته المثالية ونواياه الثورية ، فانه لا يفهم العالم ولا يفهم ذاته . والمرء هنا هو المقاومة الفلسطينية . لسوء الحظ ، كما كتبنا مرارا : السياسة ليست نوايا بل علاقات موضوعية . العالم ليس امتدادا للذات . العالم فيه ذوات اخرى غير ذاتي ، لها اهداف ومصالح ، تفكر ، تخطط وتعمل . والنتيجة لا تقررها ذاتي . بل ان ذاتي لا تقرر شيئا من النتيجة اذا لم تع ان العالم ليس امتدادا لذاتي . والسؤال هو : من يستفيد ؟ ومن يستفاد منه ؟ والجواب يتوقف على الخطوط ، خطي وخطوط الاخرين (والعلاقات القائمة بين خطي وخطوط الاخرين) .

المقاومة الفلسطينية قد تتصور ان الجوهر هو في ذاتها ، في انطلاقها : ثورة فلسطينية ، كفاح مسلح، حرب التحرير الشعبية . ولكن بين هذا التصور وبين الواقع مسافة كبيرة ، هي الواقع ، والدول (العربية والعالمية) ، والشعوب ، والجيوش ، والاحزاب ، والطبقات، والبترول (غير الفلسطيني) ... في الواقع ، الجوهر بالنسبة للمقاومة الفلسطينية ليس ايديولوجيتها (ليس ما تعتقده)

بل ولا كفاحها المسلح الحقيقي ضد الصهيونية (ليس مـــا تفعله في هذا المضمار) . الجوهر بالنسبة لها هو علاقتها مع الدول والانظمة العربية في الصراع التاريخي بـــين الصهيونية والامة العربية . الجوهر هو ما تفعله (ومـــا تقوله ، ما تطلقه من شعارات) في هذا المضمار .

لست ادري الى اي مدى بدأ قادة المقاومة المسؤولون ــ تحت وطأة تجربة النصف الثانـــي من عام ١٩٧٠ ــ يدركون او يحسون هذه الحقيقة البديهية في نظر ابسط الناس . لست ادري ما اذا كان مئات المناضلين الذيـــن تركوا المنظمات بعد أن وعوا بعض الامور قد وعوا هـــذه الحقيقة الاساسية . فيما اذا لم يعوا ، فان كل تقـــدم وعيهم يساوي لا شيء . لست ادري ما اذا كان المقاومون، في اواخر تموز ١٩٧٠ ــ بعد موافقة جمال عبد الناصر على مقترحات روجرز ــ قد استنتجوا شيئًا من كون نظام عربي محدد قد «وضع (!) جيشه تحت تصرف (!) قيادة الكفاح المسلح (!!) » .. لست ادري ما اذا كانوا قد استنتجـوا شيئا من كونهم «لم يتمكنوا من اثـارة الشارع اللبناني ، السوري ، الاردني الخ ضد القاهرة» ، كما يقول باهـــي محمد في مقال المجاهد (١) . لست ادري ما اذا كانوا قد استنتجوا ما يجب استنتاجه من أحداث شرقـــي الاردن ، من وفاة عبد الناصر ، من جنازة عبد الناصر (٢) ، مـــن

---

(١) ــ نعم : « لم يتمكنوا » . حاولوا ولم يتمكنوا . مع انهم شكليـا تمكنوا في بعض الدول . ولكنهم ، على ما يبدو ، لا يدفعون الوهم الـى هذا الحد : من السهل للحاكم ان يأمر بمسيرة ، وان يطاع شكليا . لحسن الحظ ، أن قادة المقاومة المسؤوليـن لا « يؤخلون » بهـذه المسيرات . هذا ما نفهمه من مقال « المجاهد » .

(١) ــ قيل : جنازة طويلة .. من الخليج الى المحيط .

اجهاش الرؤساء الاشقاء في البكاء ، من تعليقات بسطاء الناس الخ . لست ادري ما اذا كانوا قد استنتجوا شيئا من البيان المشترك الصادر عن سبع دول عربية — اثر التصويت على مشروع القرار الآفرو — آسيوي ، والتي تبرر فيه هذه الدول السبع استنكافها مذكرة بأن هذه الاسباب نفسها التي تدفعها الى الاستنكاف هي التي دفعتها الى «رفض قرار مجلس الامن» لتشرين الثاني سنة ١٩٦٧ .

نعم ! ايها المقاتلون . سبع دول عربية — على ما يبدو — «ترفض» قرار مجلس الامن .

هي من الشرق الى الغرب : العـراق ، الكويت ، سوريا ، السعودية ، اليمن الجنوبي ، اليمن الشمالي ، الجزائر .

وهي من «اليسار» الى «اليمين» : جمهورية اليمن الجنوبي الشعبية ، الجمهورية العربية السورية ، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية ، الجمهوريـة العراقية ، الجمهورية العربية اليمنية ، دولة الكويت ، المملكة العربية السعودية . وليغفر لنا الاخوان اخطاء التسلسل. فارضاء الجميع امر مستحيل (١) .

وهي من وجهة النظر البترولية ، تضم اربـع دول بترولية ، رجعية وتقدمية ، يمينية ويسارية ، من اصل مجموع خمس دول بترولية كبرى في الوطن العربي كله (اي باستثناء ليبيا) .

بعض هذه الدول او كلها يملك جيوشـا وطيرانـا ودبابات ، او على الاقل فرسانا وسيوفا ولكن معها ارصدة

---

(١) — لعل جلال كشك يطلب لقب اقصى اليسار للاسلام الثائر السعودي .

ضخمة . لن نطيل في هذا الشرح .

ترى كم دولة من هذه الدول «تنـادي» ـ معكم ـ بـ «حرب التحرير الشعبية» او التحرير القومية او الهجوم القومي او التحرير الثورية ؟ وتنادي يوميا ، في الصحف والاذاعات والقرارات !

ايها الرفاق المقاومون ! بعضكم على ما يبدو لا «يقبل» الا بعض هذه الدول وبتحفظ ، ويرفض الدول الرجعية . والبعض الاخر يقبل الجميع ولا يريـــد التمييز بين دول رجعية ودول تقدمية .

هذا البعض الاخر هو اقرب الى الصواب من البعض الاول . ولكن صوابه بالعكس . لقد **أحس** ان المسألة هي مسألة **خطوط** . تلك هي الحال فعـــلا . **عيانيا** ، ليس الانقسام بين الدول العربية انقساما بين دول رجعية ودول تقدمية ، بين يمين ويسار ، بين ثوري وثـوري مضاد . عيانيا الانقسام الاساسي **والمباشر** هو بين خـط وخط . باهي محمد ـ مثلا ـ وعى هذه الحقيقة : هناك خط القاهرة الذي يؤيده «الجزء الاكبر والأهم» من الراي العام العربي(١) وخط اخر يضم منظمات المقاومة وآخرين . لسوء الحظ ، انه ، بصدد هذا الخط الاخر ، لم يذكـر **الدول** ، **جميع** الدول . وكأن العالم بالنسبة لمؤلف من منظمات واحزاب ، ولكنه ليس مؤلفا من دول .

يتصور البعض ان الشيء الرئيسي في مشكلـــة المقاومة الفلسطينية هي **علاقتها بالجماهير** . قبيل مذبحة ايلول ١٩٧٠ ، قال لنا احد المسؤولـــين في المقاومة :

---

(١) ـ « في المشرق » على حد قول مبعوث « المجاهد » الجزائرية الخاص الى «المشرق» .

المقاومة الفلسطينية حققت مآثر كبيرة ، فشلت في نقطة واحدة : العلاقة مع الجماهير العربية (١) . ليست نقطة صغيرة !

ونحب ان نقول : مع ذلك ، هذه النقطة الكبيرة (العلاقة مع الجماهير العربية) ليست هي الاصل — الاصل. قررتها وتقررها نقطة اخرى : **العلاقة مع الدول ، مع الانظمة العربية ، العلاقة الموضوعية** (بغض النظر عن النوايا، وغض النظر ليس سهلا) **مع الدول العربية التي تنظرها وتغلفها الايديولوجيا اي الشعارات .**

فالشعارات والمواقف **مشتركة** ، تضم منظمات وانظمة . والحال ، حين تكون شعاراتي هي شعارات هذه وتلك من الدول ، حين اكرر معها نفس الاقوال ، استطيع -اذا شئت- ان اوهم ذاتي بانني انا اسيّرها لصالح فلسطين والثورة... النتيجة الفعلية يقررها **ميزان القوى.** اذا كان شريكي قويا وكنت انا ضعيفا ، فان شراكتي معه تكون شراكة الخادم والسيد . ويأتي وقت اشعر فيه بالأسر ، اريد الافلات ، ولكن ارادتي اصبحت مسخ ارادة. لا استطيع الا الفرار الى امام ، ولكن امامي هوة . زرعت الاوهام ، احصد الخيبات .

اول هذه الاوهام «العلاقة مع الجماهير العربية» التي اخذت من البداية شكل او اسم «اقامة الجبهة المساندة».

«الثورة الفلسطينية» ، المقاومة ، العمل الفدائي المتنامي ، هو المحور . الباقي (العرب) جبهة مساندة .

---

(١) — باهي محمد يقول ذلك بما يكفي من الوضوح (المجاهد ٢٠ ديسمبر ١٩٧٠) ، او بالاصح ينقل هذا الاعتراف من قادة المقاومة .

ساندوا ايها العرب ، نحن نحرر .

لعل احدا من قادة المقاومة لم يقل : المقاومةالفلسطينية كفيلة بتحرير فلسطين . بل لعل بعضهم كتب سطرا او سطرين يقول فيه او فيهما : المقاومة الفلسطينية لا تكفي(!) لتحرير فلسطين . ولكن ذلك لا يغير شيئا من حقيقة أن مبدأ تحرير فلسطين بالمقاومة الفلسطينية ربما المتمدّدة في حرب التحرير الشعبية الشاملة الخ هو النفس الاساسي في ايديولوجيا المقاومة ، وفي ذهنية المقاومين .

وحين جاءت النتائج الفعلية للعمل الفدائي في الضفة الغربية مخالفة جوهريا للتوقعات وحين انحسر العمل الفدائي وراء النهر ، منذ ١٩٦٩ ، وحين سجل القادة هذه الحقيقة شفويا او كتابيا ، وقعوا في وهم جديد: تصوروا ان عدم حصول النمو المرتقب الى بؤر وحرب شعبية انما هو عائد للاخطاء الذاتية (١) . لم يفكروا اذن بمسألة الحدود **الموضوعية** للعمل الفدائي . ولم يروا ان خطأ وصواب الذات **هو** في **وعي الموضوع.** هيمن عليهم الاعتقاد بان **الجماهير** العربية **تطالبهم** بتحرير فلسطين ، بتكرار معجزة الجزائر او معجزة فيتنام في فلسطين . كلا ان احدا من الجماهير العربية لم يطالبهم ولا يطالبهم ولن يطالبهم لا بتحرير فلسطين ولا بتحرير فلسطين العربية التي احتلت في حزيران ١٩٦٧ . الجماهير العربية طالبتهم وتطالبهم **فقط** بأن يرتقوا بعملهم الفدائي ، بأن يحققوا بين وقت وآخر عملية فعالة ذات أثر مادي ومعنوي ، بأن يوحدوا صفهم ، وان ينبذوا الاساطير ، وان يسهموا بصوت مسموع وصحيح

---

(١) الامر الذي زاد التشنجات داخل المقاومة ، ثم ، مع التحويل الطبيعي ، ازاء « الخارج » .

ومحدد في جر الطاقات العربية الحقيقية الى المعركة الكبرى ، معركة احتلال وتحرير فلسطين وسوريا ومصر ، معركة وجود الامة العربية المستباح ، معركة الشرق الاوسط .

ان احدا من الجماهير العربية لم يطالب الفدائيين الفلسطينيين بتحرير فلسطين او بتحرير شبر واحد من ارض فلسطين . ولكن طالبهم بذلك ، على وجه التحديد ، «الشركاء» . وهذا امر مفهوم . بيد ان المقاومة الفلسطينية هي التي سلحت الشركاء لهذه المطالبة ، او ان مسؤوليتها في الامر كبيرة . فالامر مكتوب ومحفور في المبدأ الآنف : المقاومة الفلسطينية هي المحور ، والدول والشعوب العربية جبهة مساندة .

بتعبير اخر : لقد ارادت المقاومة الفلسطينية ان تكون الرد التاريخي على التقاعس العربي . فكان الغرور المقاوم تبريرا للهروب العربي .

ارادت المقاومة ان تكون انتشالا للعرب من واقعهم الموضوعي الفاسد . فكانت ذاتية المقاومة «تعويضا» وتبريرا لهذا الواقع . الموضوع العربي والذات المقاومة وجهان متكاملان في عملة واحدة .

المقاومة قالت : نحن المحور وأنتم المساندة. والشركاء قالوا : موافقون ، انتم المحور ونحن المساندة . الطرفان وجدا في ذلك مصلحتهما . الطرف الاول — الفلسطيني — وجد فيه مصلحته المعنوية (الذاتية، عظمة الانا) . والطرف الثاني — الشركاء العرب — وجد فيه مصلحته **المادية** تماما (المصالح البترولية ، مصالح البيروقراطيات العسكرية والايديولوجية ، مصالح اللعب السياسي مع «العالم» ضد مصر وضد الوحدة العربية) .

المقاومة قالت : نحن لسنا «قابضين» جيوشكـــم النظامية المحترقة المهترئة . والشركاء قالوا : ونحن ايضا. وقال الجميع بصوت واحد : «حرب التحرير الشعبية» ، «الكفاح المسلح» (!؟) .

ان قادة المقاومة ـعلى ما يبدوـ ليسوا مسرورين من الشركاء . ولكن لماذا ؟

هل بخل الشركاء ، والعرب عامة ، والاصدقاء فـي العالم الكبير ، بالمساندة وبالمساعدة الحقيقية ؟

ـ ان ما توفر من سلاح ومال للمقاومة الفلسطينية ، ولأية منظمة من منظماتها ، كثير ، واكثـــر من كثير . لا اعتقد ان ماوتسي تونغ ١٩٢٧ ـ ١٩٤٢ نال ربع هـــذا السلاح والمال . ولا هوشي منه وفييت منــــه (١) . ولا نتحدث عن التأييد المعنوي والضجة الاعلامية، عن الصحف والاذاعات ، العربية والاجنبية ، الشرقية والغربية (ان ما خصصته جريدة «لوموند» من مقالات لنايــف حواتمه أو جورج حبش ، خلال ٣ سنوات ، هو أضعاف ما خصصته جريدة «لوتان» LE TEMPS لماوتسي تونـغ خـــلال ١٥ سنة !)

حقا ، ان الشركاء العرب ـ الذين احتضنوا الخـط الاعوج ـ لم يبخلوا بالمال والسلاح . ليس ذنبهم هنا. فما هو ذنبهم ؟

ان ذنبهم انهم اتخذوا من تمويل وتسليح المقاومـــة

---

(١) ـ هذه الحقيقة المقارنة حول مصدر المال والسلاح (من الخارج ، من الداخل ، من الصديق ، من جيش العدو) تكشف ـ في جملة اشياء ـ فساد المشابهة مع الثورة الصينية وفييت منه . مرة اخرى : « الثورة الفلسطينية » خارج موضوع السيد سعد الدين ابراهيم .

سبيلا للتهرب من واجباتهم الاساسية المباشرة .

وذنب المقاومة انها بذاتيتها ، بتمحورها على الذات ، قد فتحت لهم هذا السبيل .

ان الايديولوجيا المقاومة قد منحت براءة ذمة وجواز مرور لجمعية المنتفعين بالقضية الفلسطينية . تلك هي وظيفتها الموضوعية ، المشهودة في الواقع العياني .

ماذا تطلب الايديولوجيا المقاومة – في جوهرها اليومي – من الدول العربية ؟

تطلب رفض القرار التصفوي الرجيم . والدول («الانظمة») تعطي : مستمعو الاذاعات يأكلون من هذا الطبق ، صباحا وظهرا ومساء ، منذ سنوات .

بل ان ايديولوجيا المقاومة – لاسيما في جناحها «اليساري» «المتطور» – قد سنت تمييزا (فهي تميز عند الحاجة ، ولكنها تميز **هذا** التمييز !) ميزت بين «ما يمس صميم القضية الفلسطينية» و«ما لا يمس صميم القضية الفلسطينية» . في ما لا يمس صميم القضية المذكورة ، انها «لا تتدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية» . ولكن في ما يمس الصميم المذكور ، انها تتدخل . وكما يفهم القارىء حتى غير اللبيب ، ان ما يمس الصميم المذكور للقضية المذكورة هو الموقف من القرار التصفوي . هذا ما تقوله صراحة مؤلفات الجبهة الديمقراطية، المرشدة لمجموع الحركة . وهذه **الايديولوجيا** توجه **السلوك** : **مواقف** اواخر تموز ١٩٧٠ شاهد كبير .

الشركاء العرب يقولون : نحن موافقون . نحن موافقون كليا على هذا البند من بنود الفكر المقاوم .

بل نحن موافقون على البنود الاساسية الاخرى ، ربما مع بعض التلونات التفصيلية : حرب التحرير الشعبية ،

حرب التحرير القومية ، حرب الهجوم القومي العام .

قد نختلف على مستقبل فلسطين المحررة : بعضنا يوافق على «الدولة الديمقراطية الفلسطينية» ، بعضنا لا يوافق ، والموافقون يتجادلون حول نوعية الحقوق التي يمكن منحها لليهود في «فلسطين الديمقراطية» المقبلة (قومية ، دينية ...)الخ الخ . على اي حال، كلنا موافقون على «تحرير فلسطين» ، وعلى تدمير دولة اسرائيل (١) .

حين ينسب الي الاستاذ باهي محمد رأيا مفاده ان المقاومة الفلسطينية قد ارتكبت خطيئة فادحة بصدامها مع القاهرة ، فانني اقول : هذا صحيح ، ولكن رأيي له شطر اخر ، له تتمة او بداية : ان هذا الصدام **محفور** في ذهنية المقاومة ، في نفسها ، في «ايديولوجيتها» ، في شعاراتها الاساسية العامة والعيانية اليومية («رفض» القرار التصفوي ، «الدعوة» لحرب التحرير الشعبية ، ما يمس وما لا يمس الخ) . هذه الايديولوجيا الذاتية المثالية،

(١) — صادق العظم يكشف طرف الخيط (« دراسات عربية » ، كانون الثاني ١٩٧٠ ، ص ٤٤) : انه يريد تدمير دولة اسرائيل بالمعنى الذي حدده لينين للدولة في كتاب « الدولة والثورة » . والحال ، بهذا المعنى ، كل الدول غير البروليتارية يجب ان تدمر . مثل اسرائيل في ذلك مثل جميع الدول العربية (بل الدولة البروليتارية ايضا سوف تتلاشى) .

حقا ، لا يمكن أن يكون المرء اكثر صراحة . هكذا تكشف « الثورة الفلسطينية » الماركسوية عن نفسها بنفسها . هكذا تصفى القضية الفلسطينية مبدئيا ، ماركسويا (او « شكلا ومضمونا » حسب عبارة محسن ابراهيم) .

ان تصفية فلسطين مبدئيا ، بالتراجع ، تسير جنبا الى جنب مع تصفيتها سياسيا ، بالدفع والتهوير . ونفهم اكثر اللقاء بين الماركسويين القدامى (البكداشيين) والجدد (حواتمه ، العظم ، حبش الخ ..) .

هي موضوعيا وماديا ، غطاء هروب للشركاء ، وهي ، في الساحة العربية ، سلاح القائل ضد العامل، سلاح القوال.

لنفترض العكس !

لنفترض ان المقاومة الفلسطينية وقفت في عام ١٩٦٨ (١) وقالت بأعلى صوتها (وكان صوتها مسموعا ونافذا لدى عشرات الملايين من العرب بقدر ما هو مسموع اليوم مئة مرة) ، موجهة كلامها للدول وحكوماتها : لا يهمنا ان ترفضوا او لا ترفضوا قرار مجلس الامن . بل يهمنا أن تضعوا جيوشكم وبترولكم في المعركة ، في معركتكم ، في معركة الامة العربية ...

ماذا كان يكون الموقف اليوم ، الموقف العربي، وموقف المقاومة ؟

لنفترض ان المقاومة الفلسطينية في عام ١٩٦٨ صحت على المعنى الحقيقي الموضوعي الراهن لـ «حرب التحرير الشعبية» و«حرب الهجوم القومي» وما شابه ، وصححت ، وقالت بأعلى صوتها : الجيوش النظامية من فضلكم ، البترول من فضلكم ، الارصدة من فضلكم ليس لنا فقط ، بل للدول المقاتلة وجيوشها ، كلا وشكرا يا حكام وشعوب العرب ، نحن لن نحرر فلسطين ، ونحن لسنا المحور ، وانتم لستم جبهة مساندة ، انتم تسعة اعشار القوة ، انتم نيف وتسعة اعشار القوة التي عليها لا ان «تحرر فلسطين» بل ان تقاتل ، ان تدخل في حرب الاستنزاف الطويلة .

ماذا كان يكون الموقف اليوم ، الموقف العربي، وموقف المقاومة ؟

---

(١) — اي بعد مضي فترة على التجربة .

لنفترض ان المقاومة الفلسطينية في عام ١٩٦٨ وقفت وقالت بأعلى صوتها : شكرا ايها الاخوان المقاومون الآتون الينا من بغداد ، من حلب ، من بيروت ، الخ ، عودوا الى اقطاركم لتساعدونا وتساعدوا انفسكم وشعوبكم على حل هذه المهمات : لا «المقاومة الفلسطينية» ، بل معركة الشرق الاوسط ، معركة الامة العربية ضد العدوان الصهيوني الامبريالي وضد التقاعس والهروب . نحن ، المقاومة الفلسطينية التي تعمل بلا طبول او زمور والتي ستبقى في ساحة الفعل التاريخي خلال المئة سنة القادمة جيلا بعد جيل ، نحن نستمد رجالنا من معين لا ينضب هو الشعب الفلسطيني المشرد المسحوق ، ولا نريد ان نكون قناة تحويل او تصريف للفائض الثوروي والقوموي (١) لدى شباب الاقطار الشقيقة ، لصالح الحكام القوالين .

ماذا كان يكون الموقف اليوم، الموقف العربي، وموقف المقاومة ؟؟

ولكن المقاومة الفلسطينية لم تفعل (٢) !

لقد ارادت المقاومةالفلسطينية ان تكون ردا على الواقع العربي الفاسد ، ولاسيما على الانفصال العربي بين القول والعمل . وفعلا هكذا بدأت : قرنت القول بالعمل ، في ساحة الموت .

ولكنها ، اذ طبقت هذا المعيار – ربط الاقوال

---

(١) – وللمثاليين والمراهقين والباحثين عن شهادة او مجد .

(١) – لعل احد الاسباب ان عام ١٩٦٨ كان عام معركة الكرامة ، العظيمة فعلا ، البطولية فعلا ، والتي ما كانت بحاجة الى تضخيم .. ثم هل كان المرء بحاجة الى ذكاء خاص لكي يسجل ان معركة الكرامة اكبر معارك المقاومة الفلسطينية ، حدثت في الكرامة ، وليس في تل ابيب ولا حتى في نابلس .

والاعمال ـ على ذاتها ، لم تطبق هذا المعيار على الاخرين، على الاشقاء .

والحال ، ان تطبيق المعيار على الاشقاء هو الأهم ، لان الاشقاء اكبر حجما ووزنا . الذاتية subjectivisme هي وحدها ـ على الصعيد المعرفي وبغض النظر عن النوايا ـ التي تفسر هذا «الاهمال» . والذاتية هي العمى الذاتي .

ارادت المقاومة ان تكون في واقعها وممارستها نفيا (نقيضا) للواقع العربي والممارسة العربية . فكانت ايديولوجيا المقاومة تثبيتا لهذا الواقع وهذه الممارسة . وصارت ايديولوجيا المقاومة هي واقع المقاومة وممارستها.

ارادت المقاومة ـ كما قيل ـ ان تكون «شمعة تحترق» فتبدد الظلام العربي الدامس . ونسيت ان واقع الكون ليس فيزياء او أدبا ، بل واقع سياسي غير بسيط ، وان عشرة شموع يمكن ان تحترق وان تعزز الظلام بالدخان . الذاتية هي وحدها التي تفسر هذا النسيان . والذاتية هي العمى الذاتي .

هذه الذاتية ، كذهنية وكنفس صميمي ، ترتكز ، من حيث هي ايديولوجيا ، على «موضوعات» عمومية ملتبسة:

١ ـ المعركة معركة فلسطين .

٢ ـ القضية الفلسطينية محور القضية العربية .

٣ ـ المقاومة الفلسطينية محور القضية الفلسطينية.

تبديدا للالتباس ، تحديدا للامور ، طردا لازدواجية او تعدد المضامين ، تمييزا للخطأ والصواب ، نقول :

الموضوعة الاولى صحيحة في ما تثبت خاطئة في ما تنسى . المعركة معركة فلسطين وشعبها . ولكنها ايضا معركة الامة العربية .. موضوعها ، قواها ، ساحتها ،

احتمالاتها الخ تتجاوز فلسطين الى المشرق العربي ، الى الوطن العربي ، الى «الشرق الاوسط» (١) . ان ساحتها ليست فلسطين بالضرورة والحصر . وتسعة أعشار ساحتها الراهنة (على الاقل) ليست ارض فلسطين (٢) .

الموضوعة الثانية صحيحة في احد وجهيها وخاطئة وقاتلة في وجهها الاخر . القضية الفلسطينية محور القضية العربية ، بالمعنى الآنف — ان ديناميكية هذه المحورية تحركها ، تخلقها ، الصهيونية والامبريالية ، الزحف الصهيوني ، العدوان الحربي الاسرائيلي — ، وليس بمعنى ان تحرير فلسطين هي مهمة اليوم ، هي «في امر اليوم». الشيء الذي هو في أمر اليوم وكل يوم ، خط العمل العربي الراهن ، هو صد العدوان (لا «العدوان الصهيوني الامبريالي العام» بل «العدوان الصهيوني الامبريالي العام الخ» المتشخص ، المتجسد في العدوان الاسرائيلي الاخير)، رده ، انزال خسائر بشرية جدية بالقوات الاسرائيلية طليعة وتركيز المجتمع الصهيوني . وعمل المقاومة الفلسطينية — لا ايديولوجيتها الزائفة — **جزء من** هذا العمل ، مكانها **في** هذا الخط .

الموضوعة الثالثة خاطئة من جميع وجوهها باستثناء وجه واحد . المقاومة الفلسطينية ليست محور القضية الفلسطينية ، لان القضية الفلسطينية هي قضية المشرق العربي ، الوطن العربي ، الامة العربية. المقاومة الفلسطينية

---

(١) — لسوء الحظ ، ان البعض ، حين يسمع « الشرق الاوسط » ، فانه يفكر فوراً بـ « ازمة الشرق الاوسط » الدارجة في هيئة الامم .

(١) — ولكن لعل المقاومة توسع مفهوم « فلسطين » مع التوسع الصهيوني . الم يوجه راديو « صوت الثورة الفلسطينية ، صوت اللجنة المركزية » اوامر وتعليمات الى « مقاتلينا في سيناء » ؟!

ليست محور القضية الفلسطينية ــ العربية ــ الاسرائيلية ــ العالمية الواقعية الراهنة ، ليست محــور الصراع الكبير ، ليست محور الحرب والتعبئة ، ليست محور الستراتيجية والتاكتيك ، ليست محور المسألة التاريخي ، وليســت محور المسألة السياسي . انها محور المسألة السياســي بمعنى واحد فقط ، في وجه واحد فقط من وجــــوه السياسة . هو الوجه الديبلوماسي ــ القانوني ــ الدولي (والمعنوي) ، هو تطورات وتعرجات والاعيب احتمــــال الواحد بالمئة ، الدرب الضيق (الذي ليس بدونـــه درب عريض) .

كلا ايها المقاتلون الفلسطينيون ! لستم المحور ، لن تكونوا المحور ، لم تكونوا المحور .

تلك حقيقة موضوعية ، محفورة في الواقع الموضوعي ، في واقع القوى الموضوعية والعلاقات الموضوعية لهــــذا الكون العربي وهذا الكون العالمي . في الكــــون العربي ، الدول ، الجيوش ، الشعوب ، البترول ، الاراضي ، هي الاقوى بكثير . وهي ايضا اقنية العالم الكبير ، ولاسيمــا اقنية علاقات الامبريالية وسبلها ومخططاتها .

ان الذات ، لكي لا تسقط في الذاتية ولكي لا تلغــي فعلها ودورها ولكي تنمو في اتجاه تحقيق هدفها ، تقــر وتعترف بأن كل ما عداها هو الموضوع ، ال Gegenstand , objet الواقع المنتصب امامها ، وان هذا الموضوع هو قوى ، قوى فاعلة ، قوى واعية وفاعلة ، وقوى يمكن ان تكون اكبــر بكثير من الذات . واذا لم تضع الذات هذا الامر فــــي انطلاقها ، اذا لم تأخذ قياسه كاملا ، فهي تفشل كليا في تحقيق هدفها ، تفشل في تغيير الموضوع ، بل الموضوع المستقل او المعادي هو الذي يغيرها ، ويأسرها ، ويسخرها

و«يطوعها» . الفاعل (الذات) يتحول الى قائل ، ويتحول الى أداة .

ان الشكل الوحيد الذي كان متاحا للمقاومة الفلسطينية لكي تكون محورا بمعنى ما ، بمعنى اخر غير المعنى الذي فهمته وارادته ، بمعنى غير مباشر ولكن اكثر فعلا وشأنا ، هو تأثيرها في الساحة العربية - دولا وشعوبا - ، قيامها بواجبها الابتدائي في الحكم على الدول بمعيار الاعمال ، في جر الدول الى المعركة التي تتجاوز المقاومة وتتجاوز فلسطين الى الامة .

بيد ان المقاومة الفلسطينية ، بحكم ايديولوجيتها ، قد حرمت نفسها من هذا التأثير ، او بالاحرى مارسته بالعكس .

على هذا ، تلوم الجماهير العربية المقاومة الفلسطينية. وليس على غيره . وليس على عكسه .

ان الجماهير العربية لا تلوم المقاومة الفلسطينية لانها لم «تحرر فلسطين» او شبرا من فلسطين ، **بل لانها**، بعدم تأثيرها او بتأثيرها المعكوس في الساحة السياسية العربية، عرقلت مهمة جر الاشقاء الى الكفاح الفعلي الذي في نهاية نهايته تحرير فلسطين .

ان الجماهير العربية لا تلوم المقاومة الفلسطينية لانها لم تصبح هي وكمقاومة محور معركة الامة العربية ضد الزحف الصهيوني ، بل تلومها لانها اعتقدت واقتنعت بانها هي المحور . وذلك اقتناع وقناعة !

اما الباقي - الذي تلوم عليه الجماهير العربية المقاومة الفلسطينية - فهو فروع ، فروع كبيرة نبعت من هذا الاصل الجوهري : انحسار العمل الفدائي في فلسطين ، الانقسام الذي يقود الى وراء لا الى امام (اي الانقسام -

التمزق) ، والوحدة (وحدة ١٩٧٠) على الخط الاعوج ، ضد القاهرة ، الانجرار — بحكم ذلك كله — وراء العاملين العرب والفلسطينيين ، الرجعيين و«التقدميين» و«الماركسويين» ، ووراء سيد كل العاملين) على تصدير «الثورة الفلسطينية» الى خارج فلسطين ، العاملين على تحويل «الثورة الفلسطينية» الى ثورة فلسطينية في شرقي الاردن ، وثورة فلسطينية في لبنان .

اذ ذلك هو سير التدهور التاريخي الذي يقوده اليسار العربي الزائف ، الرافضي ، الحربي التحريري الشعبي ، الاستدراجي الخ . مع سير التوسع الاسرائيلي في بلاد العرب، شهدنا ثورة فلسطينية في شرقي الاردن. ويمكن ان نشهد بعد عشرين سنة ، ثورة الدمشقيين في حمص ، وثورة الجنوب اللبناني في بيروت وطرابلس ، وثورة السوريين في العراق ، وثورة الشرق اردنيين في بطاح نجد ، وثورة الجميع على الجميع في الساحة العربية الشاملة . هذا «الصعود الثوري» هو صعود التوسع الصهيوني . والصعود الايديولوجي اليسراوي ملحق بالصعود الثاني ، ووسيط ينقل من الثاني الى الاول (ومن الاول الى الثاني ، في تفاعل جدلي ذاتي — موضوعي وموضوعي — ذاتي) .

اننا لا نمزح . الامر بالغ الجد . الامر حقيقي في شطريه ، في شطره الموضوعي (مخطط الدفع الى الشرق Generalplan Ost النازي الاسرائيلي الذي نفذ وينفذ)، وفي شطره الذاتي : ان المكتب السياسي للجبهة الشعبية الديمقراطية — في كتاب «حول ازمة حركة المقاومة الفلسطينية (تحليل وتوقعات)»— يستبشر بتجمع المشردين الفقراء في شرقي الاردن .وبالاختناق الاقتصادي في

شرقي الاردن (١) ، ولكن الرجعية العربية والاسرائيلية تعمل بشتى الوسائل على فك الخناق الثوري عن عنق الملــك والحكم الرجعي ، السلطات الاسرائيلية تجري تساهــلات اقتصادية متنوعة مع الضفة الشرقية ... وقد فــــات المكتب السياسي الثائر المستنير ان هناك وسيلة بسيطــة وجذرية أمام اسرائيل لفك الخناق الثوري الفقير عن عنق الملك ، وهي ان تفتح اسرائيل باب العودة ــ مثلاً ــ لثلاثمئة الف من سكان الضفة الغربية ، لثلاثمئة الف من اللاجئين واللاجئين آس ٢ . والحال ، ان اسرائيل هي التي اخرجت هؤلاء في حزيران ١٩٦٧ ، وهي التـــي منعت **بالذبح** عودتهم في أعقاب حزيران ١٩٦٧ ، بل انها ايضا تهجــر ــ احيانا وحتى في عام ١٩٧٠ (٢) ــ بشرا من قطاع غــزة الى الضفة الشرقية ، الى شرقي الاردن .

كما قلنا ، الامر بالغ الجد : صعود التوسع الصهيوني، وصعود اليسار **الزائف** ، **وصعود الثورة** الفلسطينية خارج فلسطين ، تصدير الثورة الفلسطينية .

II

الموقف الاول للمقاومة على صعيد الاشقاء العــــرب والعلاقات معهم كان موقف عدم تمييز : كلهــم اشقاء أو

---

(١) ــ في اللاهوت الماركسوي ــ الاقتصادي ، الثورة تنبثق من الفقــر والتشرد كما ينبثق الابن من الاب .

(١) ــ بعد خطاب عبد الناصر في ٢٢ تموز ١٩٧٠ وقبيل التصعيد الشرق ــ اردني الاخير ، نقلت الاذاعات أنباء جديدة عن عمليــة التهجير هذه من غزة الى شرقي الاردن .

بالاحرى اولاد عـم سيئون أو مقصرون او عاجـزون ومسوفون . في الليل العربي ، كل البقرات سوداوات. هذا هو النفس الاصلي لفتح .

بعد الفجر المقاوم ، يأتي الصباح . ومع طلـوع الصباح ، كل البقرات تصبح بيضاوات . الصباح هـو هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، انكشاف عجز الدول وفشـل الجيوش ، توسع القاعدة الجغرافية والبشرية للثـورة الفلسطينية ، الاعتراف العام بالمقاومة (العطف الشعبي ، المال والسلاح ، الاذاعات). الدول فشلت ، «تشرشحت»، ولكننا لا نؤاخذها ، ما دام هذا في حسابنا وما دامت هي تعترف . وليس المهم انها تعترف بمسؤولياتها (وبعضهـا يرى في الهزيمة نصرا وتثبيتا للستراتيجية ، للشعارات)، بل المهم انها تعترف بنا ، بأهميتنا او محوريتنا، بشعاراتنا. انها بيضاء ما دامت تقر ـ سواء بنقدها الذاتي لعيوبها او بهروبها العملي وتثبيتها لشعاراتنا ـ انها سوداء .

لنقل ـ مع ترك بعض التفاصيل ـ اننا ، في سنـة ١٩٦٧ ، ننتقل من اللون الاسود الى اللون الرمادي . اي حسب المثال الفرنسي ، نبقى على صعيد المعرفة في الليل، «الليل الذي فيه كل البقرات سوداوات» (المثال في شكل اول) ، او «الليل الذي فيه كل القطط رمادية» (المثال في شكله الثاني) (١) .

ولكن لا يلبث ان يحدث تمايز في السديم : فالبعض وافق على قرار مجلس الامن التصفوي ، والبعض الاخر رفض . البعض حسم مناقشاته حول حرب التحريـر الشعبية عائدا الى الحرب النظامية ، بينما البعض الاخـر

---

(١) ـ الشكلان واردان في اللغة الفرنسية ، (وفي مؤلفات كارل ماركس) .

متمسك يوميا بحرب التحرير الشعبية . صحيح انه لم يفجرها بعد ، ولكن تفجيرها يحتاج الى وقت . وعلى هذه الموجة الذهنية ، يركب المقاومون الجدد ، الماركسويون ، الذين يحذرون — عن تجربة ، وتجربتهم ملموسة تماما — من القاهرة .

الصدام مع القاهرة في اخر الشوط . وبالحقيقة ، انه في كل الحلقات ، في كل المراحل، تحمله ذاتية واحدة، ومثالية واحدة ، وجموح ذهني واحد . ما حدث في اواخر تموز ١٩٧٠ له ممهدات وقرائن واشارات يومية : القاهرة متهمة يوميا ، تلميحا في الكتابات ، وتصريحا في الدعاية الشفوية (١) .

ان الموضوع العربي ليس سديماً رماديا . الذين يرفضون تمييز الاسود والابيض ، انما هم — في المآل الاخير — يرفضون فقط ان يروا الاسود اسود والابيض ابيض ، ويتأهبون — عقليا او ذهنيا — ليروا الاسود ابيض والابيض اسود .

وليس من فرق في هذا المضمار بين فتح و«اليسار»، بين الذين انطلقوا من عدم تمييز التقدمي والرجعي في سديم عالم الدول العربية ، والذين انطلقوا من شطر السديم المذكور الى سديمين تقدمي ورجعي ، أو شبه تقدمي ورجعي .

من بين مجموع الدول العربية التقدمية ، دخلت

---

(١) — لا سيما في المخيمات .

ومن المعروف ان المقاومة تحذر من التسلل ، ومن الطبيعي ان العدو يرسل جواسيس . ولكن كيف تنسى ان في جوهر عمل العدو وجواسيسه الركوب على الخطوط السيئة ، على خط كهذا الخط (الشائعات اليومية ضد مصر وسياستها ونواياها) .

المقاومة الفلسطينية في صدام حاد مع دولة تقدمية واحدة هي مصر ، اي الدولة التي قدمت اربعة اخماس التضحيات البشرية العربية في حرب حزيران وبعدها والتي بدونها يصبح العرب هباء منثورا وتصبح فلسطين ومقاومتها ذرة في الغبار العام .

ومن بين جميع الدول العربية الرجعية ، دخلت المقاومة الفلسطينية في صدام متصاعد مع دولة رجعية محددة هي الاردن الذي هو منذ امد شرقي الاردن ، وبقدر أقل مع دولة رجعية ثانية هي لبنان .

ولكن قد يقال :

اليس هذا طبيعيا؟ اليس الاردن ولبنان بلدي الحدود مع العدو ، قاعدتي انطلاق العمل الفدائي (حتى اذا وافقنا على ان هذا العمل الفدائي لن يتطور الى حرب تحرير شعبية) ؟

حقا ، هذا وجه اول في المسألة .

ولكن في المسألة وجه ثان لا يجوز ان يغيب عن بالنا حتى اذا غاب عن بال «الغائبين» : ان الاردن ولبنان دولتان رجعيتان **غير بترولية**! وفي الصدام مع العرش الاردني او الشرق اردني ، يمكن ـعلى ما يبدوـ أن تنال المقاومة تضامن العروش البترولية (وجميع «الغائبين») .

اذن للمسألة ـ مسألة الصدام وعدم الصدام مع الدول الرجعية ، الصدام مع البعض وعدم الصدام مع البعض الاخر ـ وجهان :

١ ـ موقع الدول الجغرافي ازاء اسرائيل وتوسعها.

٢ ـ وزن الدول ، وزنها الاقتصادي والسياسي ، وقدرتها وفاعليتها في الساحة العربية والعالمية .

والحال، ان المقاومة الفلسطينية ـ بحكم ايديولوجيتها،

بحكم ذاتيتها – قد آثرت الوجه الاول، دونما شكل اخر من اشكال المحاكمة والقضاء sans autre forme de procés (١).

وهي على خطأ .

وخطأها غير اصيل .

حين اقرأ ان الطريق الى تل ابيب يمر عبر عمان ، او ان تحرير تل ابيب (٢) يمر عبر تحرير عمان، فاني اذكر ان هذا كلام قراته فيما مضى على لسان احمد الشقيري .

مع بعض الفارق !

حين يقول الشقيري ان الطريق الى يافا يمر عبر عمان ، فان عمان تعني في ذلك الزمن المملكة الاردنية الهاشمية بشطريها ، الفلسطيني والشرق – اردني .

ولكن حين يقول المقاومون ان الطريق الى فلسطين يمر عبر عمان، فان عمان لم تعد تمثل سوى شرقي الاردن، بينما غدت فلسطين هي «فلسطين المحتلة من النهر الى البحر» .

هل الطريق الى فلسطين يمر عبر شرقي الاردن؟ بلغة ادق ، وغير مجازية او ادبية ، هل سقوط الملك الاردني والرجعية الاردنية شرط لتحرير فلسطين ؟

ان سقوط الرجعية العربية بوجه عام (وبضعة اشياء اخرى) هو شرط لتحرير فلسطين .

---

(١) – واليسار المقاوم ، « عدو » المصالح البترولية « اللدود » ، اكتفى بتلميحات عن الدول البترولية (ودفع الى الثورة الشرق اردنية دفعا) ، وهي بوجه عام تلميحات مقطوعة الجذور ، داخلة في الاطار الباطل ، موجهة ضد « اليمين » (فتح) المتهم بنيل المال من شيوخ البترول. اي ان هذا اليسار مسخ المسألة مسخا .

(٢) – يجب ان نعربها فنقول « تل الربيع » ، بما اننا وكما اننا نوسع الوطن العربي على الخريطة .

ولكن تحرير فلسطين ليس في امر اليوم . وحين نضمه في امر اليوم مثاليا ، فاننا نساهم واقعيا في وضعه بين مزدوجين ، ونضع امر اليوم الحقيقي ومعركة اليوم الحقيقية بين مزدوجين . هذا اولا .

وثانيا ، وبالاستناد الى اولا وبالارتباط معه ، نقول: ان سقوط الرجعية العربية بوجه عام **هو** الشرط (احد الشروط) لتحرير فلسطين ، وهو ايضا احد الخطوط الاساسية في المعركة الراهنة .

ولكن الا ينبغي التخصيص ؟ الا نقول : سقوط الرجعية العربية بشكل عام **والاردنية بشكل خاص** ؟

كلا ، اننا لا نخصص ، بل نرى في التخصيص — في هذا التخصيص — تهريبا و«تمليصا» للدول الرجعية البترولية ، ولجميع القوالين — رجعيين وتقدميين — . ونحذر من ان «الثورة الاردنية» اي «الثورة» الفلسطينية في شرقي الاردن قد تأتي بحكم «تقدمي ثوري» قوال اخر.

ونحذر من ان الثورة الظافرة في شرقي الاردن امر مستحيل : ان تبرئة الدول (الانظمة) المتهربة من الواجب القومي — من واجبات معركة الدفاع العربي ضد التوسع الاسرائيلي — ، ان تبرئة هذه الدول عن طريق اعتماد معيار الاقوال ومنحها القاب النبل القومي او الثوري على اساس موقفها من الخلاف الدائم بين المقاومة والملك حسين (الخلاف المجعول مركزا ومحورا للكون ، وانصرافا وصرفا عن المعركة الاكبر) ، ان تبرئة هذه الدول ليس **ابدا** لصالح انشاء جبهة شعبية وطنية فلسطينية — شرق اردنية ضد الرجعية والملك ، ليس **ابدا** لصالح كسب الجماهير الشرق اردنية وضباط وجنود الجيش الاردني بما فيهم الفلسطينيون، بل وليس لصالح توحيد الجماهير الفلسطينية

نفسها في شرقي الاردن على اساس ثابت وراسخ . بل ان هذه التبرئة ـ والايديولوجيا كلها ـ قد ادت مفعولا معاكسا.

وحوادث النصف الثاني من ايلول ١٩٧٠ درس بليغ. ومع اننا لم نكن بحاجة الى هذا الدرس (فالامور واضحة بما فيه الكفاية قبل الاحداث الدامية بشهور) ، الا انه من المفيد ان نتوقف عنده .

ننطلق من الموضوعة الرئيسية للمقاومة بصدد هذه الاحداث : الملك حسين ، وصفي التل ، الرجعية الاردنية تتآمر على الثورة الفلسطينية ، تسعى الى تصفية المقاومة، ارادت ان تضعها في الاغوار بين المطرقة والسندان. ونقول: ان المقاومة ـ بايديولوجيتها وسلوكها ـ قد سهلت هذه المؤامرة الحقيقية . ان شعبية الملك حسين في المجتمع الشرق اردني ليست ، خلال سنوات ١٩٦٧ – ١٩٧٠ ، في هبوط بل في صعود .

لقد استمرت الحرب الاهلية في شرقي الاردن نيف وعشرة ايام . الاذاعات العربية كافة كانت متعاطفة بدرجة واخرى مع المقاومة ومع شعب فلسطين : بعضها اكتفى بادانة محاولة تصفية المقاومة الفلسطينية ، وبعضها تحول الى لسان الثورة الفلسطينية ، صوت اللجنة المركزية . كلها اسهبت في وصف وحشية الحرب ـ المجزرة . وكلها رددت ـ آنذاك ـ ان هناك عشرة آلاف ، عشرين الف ، خمسة وعشرين الف شهيدا او ضحية . ورغم استمرار الحرب الفاجعة والاعمال الوحشية للسلطة الرجعية ، لم يحدث اي انشقاق في الجيش الاردني (١) .

---

(١) ـ وقال ياسر عرفات للرئيس النميري : هذا الجيش (٧٠ الفا) مشحون بالكراهية ضدنا . بالطبع ، هذا الجيش الاردني (وفيه فلسطينيون) ليس مجتمعا مغلقا لا صلة له بمجتمع المدنيين .

كانت هناك من جانب الملك (ولا تزال) محاولة لتصفية المقاومة. وكان هناك من جانب المقاومة محاولة لتصفية الحكم.

اليسراويون يقولون: ليس هذا شيئا واحدا. محاولة الملك جريمة. محاولة المقاومة عمل عظيم.

والحال، هنا مناسبة قول تاليران (1) المأثور: ان الثورة الفلسطينية في شرقي الاردن هي خطأ!

حتى اواسط ١٩٧٠، كان هناك جدال في صفوف المقاومة: الجبهة الديمقراطية، الجبهة الشعبية (وربما قسم من قواعد فتح)، تنزع الى اسقاط الحكم في عمان. فتح تعارض: هذا ليس في مصلحة الثورة الفلسطينية. في الجبهتين المتجادلتين، تؤخذ قدرة المقاومة على اسقاط الحكم كشيء اكيد بديهي.

ولكن الواعين نبهوا: ليس اكيدا الى هذا الحد! والجبهة الشعبية الفلسطينية – الاردنية المزعومة لا تبدو اردنية الا من زاوية ان فلسطين – الضفة الغربية وسكانها النازحين هم جزء من مفهوم «الاردن» اي من زاوية توسيع مفهوم « الاردن » او الاختلاط بين مفهومي «الاردن» و«شرقي الاردن». وبينت حوادث ايلول ان الواعين كانوا على حق. ولكن، رغم انف الوقائع، كتبت صحف اليسار المقاوم، بعد حوادث ايلول واثناءها، كتبت صراحة ان السكين الثورية كانت تهم بذبح الشاة الرجعية، ولكن الحكام العرب خذلوا السكين وانقذوا الشاة. هذا ما يسمى قلب الاسود ابيض والابيض اسود.

---

(1) – سياسي فرنسي شهير. سألة نابوليون عن رأيه في قيامه باعدام دوق دانجان وهل كان هذا الاعدام جريمة، فاجاب: « يا جلالة الامبراطور، انه اكثر من جريمة، انه خطأ ».

في واقع الحرب ـ المجزرة ، الشاة هي المقاومة ، والسكين التي يحملها الملك اكبر من الاثنين .

بيد ان الخطيئة ليست بالدرجة الاولى في عدم تقدير القوى الموضوعية ، في عدم تحقيق الهدف ، بل في الهدف الذاتي ذاته .

هذا الهدف ـ اسقاط حكم الملك حسين ، اقامة الديمقراطية الشعبية في الاردن الشرقي ـ اطلقه كتّاب وقادة اليسار المقاوم منذ البداية ، اي منذ الوقت الذي انتقلوا فيه ، اثر خيباتهم العربية والناصرية والزعامية ، الى المقاومة الفلسطينية لكي يثوروها ويمركسوها (وبينهم وبين الماركسية ما صنعته الانفعالات وردود الافعال والكسل العقلي والجهل الشرقي الحديث) . اطلقوه في شكل «شعار» ، شعار اخر في زحمة الشعارات : تحويل عمان الى هانوي !

وفي تنظير الجبهة الشعبية الديمقراطية ، جاء الامر واضحا كل الوضوح (١) : ان اقامة نظام الديمقراطية الشعبية (!؟) في الاردن (في شرقي الاردن !) شرط وانطلاق لتحرير فلسطين . ولكن كيف ؟ لنفترض ان هذا الهدف ـ اسقاط حسين واقامة النظام المذكور في الضفة

---

(١) ـ كتاب « حول ازمة حركة المقاومة الفلسطينية » ، الفصل الثالث . انظر ايضا كتاب جيرار شاليان : « المقاومة الفلسطينية » (دار الطليعة) . شاليان لمس هذا الشعار « تحويل عمان الى هانوي » عند كوادر وقواعد الجبهة المذكورة . وقد شتم في كتابه ، المنظمة الام والشقيقة (الجبهة الشعبية) . ثم اضاف على عجل صفحة اخيرة الى كتابه صحح فيها معلوماته عن هذه الجبهة الشعبية ، كان ذلك نذيرا بانه سيرعى الثانية ، او الاثنتين معا . اليست كل هذه الجبهات لتحرير فلسطين جبهات لتحرير شرقي الاردن او اي شيء اخر ؟!

الشرقية – تحقق ، ماذا بعده ؟ كيف سننطلق نحو الضفة الغربية ، نحو فلسطين ، ما دام اسمنا «جبهة الخ لتحرير فلسطين» ؟ الرفاق يقفزون من فوق هـــذا السؤال ، «يشيرون» – عابرين – الى ان نظامنا الديمقراطي الشعبي في شرقي الاردن ، سيكون مثالا رائعا يحفز جماهيرنا في فلسطين المحتلة ، ويشرعون (مرة اخرى) لمستقبل « دولة فلسطين الديمقراطية» .

لعل الجماهير في عمان ودمشق والقاهرة والقدس لا تقرأ كتب الرفاق . ولعل الذين يقرؤونها لا يملكون ان يدققوها وان يفندوها (١) . ولكن الجماهير ليست غبية. فهي تحس وترى وتسمع وتدرك الاتجاهات الواقعية العملية ، وتحكم !

ان موقف هذا اليسار المقاوم ينطلق من رد فعل على اليمين المقاوم ، الذي بالغ في «فلسطنة» القضية . بيد أن «تعريب» القضية «ثوريا» على يد اليسار المذكور لا يلبث ان ينكشف عن كونه «كوعا» عربيا زائفا ومخربا . هــذا «الكوع» – الذي يتوجه ضد الجمهورية العربية المتحدة وخطها السياسي والتاريخي – يتوجه ، في صعيد مقارعة الرجعية وعلى أساس ضرورة الاهتمام بالرجعية ، ضد النظام الاردني . هنا يمكن القول : تمخض الجبل (العربي) فولد فأرا . وهذا الفأر (الاردن ، شرقي الاردن) فأر سام. في واقع مصالح وسياسة وخطوط هذه الكون» أن «الحكم الديمقراطي الشعبي» في شرقي الاردن قد لا يكون سوى

(١) – اكثر الذي يقرؤونها منطلقون من موقف متعاطف مع هذه «الماركسية» وهذا «اليسار» . القراءة تخيب املهم ، اذ لا يرون فيها سوى « مجموعة مقالات صحفية » . هذا خطأ . فيها اكثر من ذلك ، فيهـا خطأ .

عمليـــــة تغيير في الوطن ، قد لا يكـون سوى حلقـــــة ــ اساسية ــ في حل مسألة الوطن امبرياليا وصهيونيا : شرقي الاردن ، مضافا اليه جزء من الضفـــــة الغربية ، يصبح هو «فلسطين» (١) . والباقي (اي تسعة اعشـــار فلسطين) يصير «اسرائيل» . و«اليسار» الفلسطربـــي المنتصر في الضفة الشرقية سينتظر ماتز بن (سينتظـــر طويلا. وبانتظار ماتزبن و«جماهيرنا» في فلسطين-اسرائيل، سيكون عليه في شرقي الاردن ان يحل مشاكل شرقــــي الاردن ، مشاكل الشعب والخبز ، مشاكــل الوحـــــدة الوطنية الفلسطردنية ، ومشاكل وحدة وانقسام جبهـــة الثوار المنتصرين (المسائل الممسوخة اليوم الى مسائــــل تنظيمية او الى مسألة ايديولوجيا ــ لافتة) .

لا ريب ــ لا اشك شخصيا ــ في ان قادة المنظمات الكبرى (فتح ، منظمة التحرير) وربما ايضا قادة «اليسار» ارتابوا في الموضوع ، في خط السير . ولكنهم ساروا !

لا ريب ان هناك جارا ومجرورا . ولكن الجار ليس فقط بين المنظمات ، الجار ايضا في النفوس ، في النفس

---

(١) ــ ذلك سيكون تحطيما لمأثرة المقاومة كما لخصها عبد الناصر : « شعب له وطن ، ووطن له شعب » .

في حديث ادلى بـه نايف حواتمة ــ بعد حوادث ايلـــول بشهرين ــ الى جريدة « الاوريان » البيروتية ونقلت « لو موند » بعض فقراته ، لاحظ القائد المذكور ان الامبريالية الاميركية يمكـــن ان تضحي بالملك حسين (وغمز من قادة المقاومة بصدد الحل السلمي التصفوي) . ولكنه لم يلبث ان اكد استراتيجيتـه او تاكتيكـه المقاوم : ان العرش الاردني هو العدو رقم واحد . والحال ، حتى يكـون العرش المذكور هــو العدو رقم واحد ، وحتى يكون من الممكن ان تضحي اميركا به ، يجب ان يكون من الممكن ان تكـون اميركـا هي « الصديق » ، استراتيجيا او تاكتيكيـا او اي شيء اخـر ، ولكــن في كــل الحالات « بالملموس » .

العام ، في الايديولوجيا ، في الذاتية ، في التمحور على الذات ، في منهج الغباء الديبلوماسي، في المطاردة اليومية للقرار التصفوي الرجيم التي هي في واقعها الحقيقي مطاردة شبح «السلام» للعقل (١) . في العقل «المسكون»، أقترن **خطر** تصفية المقاومة **بشبح** «السلام» (٢) ، بشبح التصفية الدولية لقضية فلسطين . ولم ير العقل — ولم ير على مدى الشهور والسنين — ان التصفية المثلى للمقاومة هي التصفية «المعنوية» (عزل المقاومة ، شل فعلها العربي، عكس فعلها) ، هي «**حرق**» المقاومة من قبل عدو متنوع — ليست الرجعية الاردنية الا جزءا منه — وعلى اساس **خطها** الفاسد ذاته (٣) .

ان تحويل شرقي الاردن الى فيتنام شمالية خرافة.

---

(١) — حقا ، كما يقول باهي محمد في نهاية مقاله : ان المقاومة ليست بحاجة الى كبش فداء . والتضحية بكبش فداء قد لا تكون سوى تمويه لمسألةالنفس العام، بـ الاكتفاء بالترقيع بديلا عن اعادة النظر الحقيقية.

(٢) — ويكافح الشبح المذكور (الاميركي — السوفياتي، المصري — الاسرائيلي، الدولي والعربي) بخطف الطائرات وتفجير طائرة في مطار القاهرة . حسب مجلة افريك — اسيا ، الصين الشعبية ادانت هذه الحوادث . وفي اخبار اخرى ، انها تدين ايضا اعمال الوحدة العربية والثرثرة الطبقية والماركسوية لدى من كانوا قبل سنوات « القوميين العرب » ..

(٣) — حول دور الرجعية الاردنية ودور بعض الباقي (دور الخط) :

في شهر حزيران ١٩٧٠ ، روى لي احد الاصدقاء (ربما نقلا عن مقال الرواية المطبوعة) — مؤامرة دبرتها السلطة الرجعية الاردنية لاغتيال جورج حبش وبعض القادة (من الجبهة الشعبية وغيرها) ، وان « الشباب يغلون » ! ثم اضاف متسائلا : اترى هي مؤامرة لاغتيال جورج حبش وبعض القادة ؟ أم مؤامرة « تسخين » لجر حبش والشعبية والمقاومة الى حرب اهلية وشرشحة وحرق ؟

ولكن حتى يفكر جورج حبش كما فكر الصديق (وهو رجل عادي ومتعاطف آنذاك مع «الحكيم» وغيره) ، يجب ان لا يكون قد اسكرته صورته في جريدة «لو موند» (العالم) ، يجب ان لا يكون مؤمنا هو وغيره بأنهم محور العالم !

ان قطرا عربيا شبه صحراوي (١) يحمل ضعف سكانه الاصليين او اكثر لن يكون فيتنام شمالية بلَ فأرا ساما . حتى لو بعث لينين وهوشي منه وتروتسكي وغيفارا وروزا لوكسمبورغ . وجاؤونا خبراء في الثورة الى عمان ، فانهم لن يستطيعوا ان يحولوا شرقي الاردن الى شمالي فيتنام ، ولن يحاولوا . سيبحثون عن طريق اخر ، وسيجدونه بلا صعوبة كبيرة : انه الطريق العربي وترابطاته وسلم أولوياته.

لن يكون شرقي الاردن وجبل كسروان وما شابه قاعدة انطلاق لحرب شعبية تحرر فلسطين .

ولن تكون هناك حرب شعبية تحرر فلسطين .

سيكون هناك حرب نظامية ، وجبهة شرقية ، ونمو عربي ، ووحدة عربية ، او سيكون هناك لا اقول «سلام» و«حل سلمي» ، بل مزيد من التدهور والهزائم . والمقاومة الفلسطينية معنا في هذا المغطس .

لا يستطيع الفلسطينيون ان يقفوا على أرجلهم والعرب قاعدون وراكعون . ولكن المقاومة الفلسطينية تملك ان تسهم **اكبر** اسهام في انهاء القعود والركوع .

III

لقد قلت ان صوت المقاومة الفلسطينية ـ التي قرنت القول بالعمل والتي قدمت الشهداءِ تلو الشهداء ـ كان مسموعا ونافذا في ١٩٦٨ ، وكان مسموعا اكثر مما هو مسموع اليوم بكثير .

ولكن المقاومة الفلسطينية تملك الان ان تجعل صوتها

---

(١) ـ بمعايير اوروبا الصناعية ، وبمعايير اسيا الشرقية الزراعية سواء بسواء .

مسموعا اكثر مما كان مسموعا في ١٩٦٨ بكثير .

لقد كانت الجماهير العربية في ١٩٦٨ متعاطفة اكبر التعاطف مع المقاومة . هذا امر لا شك فيه . ولكن يخطىء قادة المقاومة المسؤولون اذا تصوروا ان ذلك التعاطف الكبير لم يكن يشوبه حذر او تحفظ . أحداث تموز ١٩٧٠ وما بعده كشفت ان التحفظ لم يكن في غير محله .

ولقد كان التحفظ يتصل بأمور كثيرة : دور المقاومة السابق في تصعيد القضية الفلسطينية نحو الحرب – الكارثة ، اوهامها الفتية ، ظهورها او محاولة ظهورها او اصرارها على الظهور بمظهر البديل عن الجمهورية العربية المتحدة والجيوش النظامية، انطلاقتها الايديولوجية الذاتية المثالية التي فتحت باب الهروب للهاربين ، تصفيق ما هب ودب من الحكام المكروهين ونصف المكروهين لها . لقد كان في ذهن الجماهير ، منذ البداية ، تساؤل وتشكك في ان المقاومة الفلسطينية ، اذ تعلن بشكل ما التمرد على وصاية القاهرة على قضية فلسطين وشعبها ، تسير في اتجاه السقوط تحت وصاية من ؟

ولكن الجماهير العربية كانت ، بالمقابل ، تعلم ان الحرب – الكارثة نبعت من منابع اخرى اكبر شأنا ، وان العرب كمبادرة الى «حرب التحرير» لم يفعلوا اكثر من الانجرار الى مخطط العدوان الاسرائيلي – الاميركي ، وان اسرائيل تساوي العدوان في جميع الحالات (وحتى اذا تجنب العرب الصيحات والاعمال الحربية الحقيقية والمزعومة) (١) ، وان المسؤوليات العربية موزعة ، وان

---

(١) – قبل عدوان حزيران ١٩٦٧ ، طبلت الدعاية الاسرائيلية وزمرت لحرب التحرير الشعبية التي يشنها عليها الفدائيون العرب . كذلك فعلت صحفنا (« صحف العدو تقر وتعترف » !!) . ناتان فاينشتوك

الاوهام الذاتية المثالية ليست وقفا على هذا القطاع من شعبنا العربي ومن الجنس البشري ومن جبهتنا المشتركة ضد الامبريالية ، وان المسؤولية الاولى في الهروب تقع على الهارب ، وان مسؤولية الكبار اكبر من مسؤولية الشباب .

واليوم ، ان ادانة الجماهير العربية للايديولوجيا المقاومة هي ادانة لايديولوجيا ولاوضاع مادية عربية اوسع بكثير .

وبعد .

فان المقاومة الفلسطينية تملك **الان** ان تجعل صوتها مسموعا اكثر مما كان مسموعا في ١٩٦٨ بكثير .

يكفي ان تسمع صوتها وان يكون صوت حق .

يكفي ان تصفع الديماغوجيا بكلتي يديها .

يكفي ان تقطع الصلة مع المتاجرين السرمديين المتجددين بالقضية الفلسطينية .

ان تقطع الصلة مع طاحونة الكلام العربية ، مع النزعة الكلامية verbalisme العربية «الاصيلة» التي يمقتها الشعب العربي (١) ، ان تضع الاشياء قبل الكلمات، ان لا تستخدم كلمات الا للدلالة على اشياء .

ان تميز الاقوال والاعمال ، ان تجر الدول الى العمل،

(وهو من جماعة ماتزبن) في كتابه « الصهيونية ضد اسرائيل » ، وكتاب اخرون ، كشفوا الحقيقة : ان مجموع خسائر اسرائيل البشرية من جراء « الحرب » المذكورة خلال الشهور الخمسة السابقة لعدوان حزيران هي شخص واحد ، وخلال السنوات الثلاث السابقة للعدوان ما بين عشرة وخمسة عشر !! « صحف العدو تقر وتعترف » عبارة من الافضل ان نحذفها من قاموسنا .

(١) ـ ويدينها في مثل عامي شهير : « ليس على الكلام جمرك » .

وان تسمي القوال قوالا . ان تسمي الدول بأسمائها .

ان تجتث الذاتية من الجذور وان تزرع الموضوعية.

ان تدفن منهج الادراك الاجمالي الغامض للاطفال الرضّع . ان تميز وتحدد .

ان تتعلم من جمال عبد الناصر ، الصافع الاكبر للديماغوجيا والكلامولوجيا ، المثور الاكبر للعرب والعقل العربي ، وان تؤمن مثله بالشعب وبعقل الشعب . انتعتبر بـ «آلام وموت» جمال عبد الناصر .

ان تخفض صحفها وبياناتها وملصقاتها الجدارية وكل قطاع الاعلام والعلاقات العامة بمقدار ٩٥٪ .

ان تغلق ٩٥٪ من مكاتبها .

ان تمنع هي اللباس المبرقع فيما عدا ساحة القتال والتدريب .

ان تعلن ان العمل الفدائي الفلسطيني ليس قتال فيتكونغ ولا قتال المجاهدين الجزائريين ولا قتال موزامبيق او الواق واق .

وان العمل الفدائي ليس شأنه ولا وظيفته ان يحرر فلسطين او اي شيء اخر .

وان العمل الفدائي لا يضع لنفسه منظور التحول الى حرب تحرير شعبية وما شابه بل يضع لنفسه منظور النمو وحسب .

وان المقاومة الفلسطينية تسعى الى اعادة وتنمية الارتباط بأوسع الجماهير العربية في فلسطين المحتلة ، من اجل أشكال نضالية بالغة التنوع ، بينها الاشكال الجماهيرية السلمية ، كاشفة قمع العدو وحياة القضية امام العالم .

وان المقاومة الفلسطينية باقية للمئة سنة القادمة .

فهرست

المقاومة الفلسطينية

و

الموقف الراهن

«أرادت المقاومة ان تكون في واقعها وممارستها نفيا للواقع العربي والممارسة العربية . فكانت ايديولوجيا المقاومة تثبيتا لهذا الواقع وهذه الممارسة . وصارت ايديولوجيا المقاومة هي واقع المقاومة وممارستها » .

«حرب التحرير الشعبية» ومطاردة « الحل التصفوي» ، ألفاظ بلا مضامين ومضامين بلا حدود ، إدراك اجمالي غامض وانفصال الاقوال والاعمال – الياس مرقص يفك هذه الآلية ويبيّن الطريق .

كتب اخرى للمؤلف اصدرتها دار الحقيقة :

- عفوية النظرية في العمل الفدائي
- نظرية الحزب عند لينين والموقف العربي الراهن
- الماركسية اللينينية والتطور العالمي والعربي

  في برنامج الحزب الشيوعي اللبناني

  وفي نقدنا لهذا البرنامج

دار الحقيقة للطباعة والنشر في بيروت
ص.ب ٨١٤٧

الثمن : ٢٠٠ ق. ل.
٢٧٥ ق. س.